عبد الحق الحر

تحالف الشيطان

مافيا السياسة.. و..مافيا الأديان



تحالف الشيطان

مافيا السياسة.. و..مافيا الأديان

عبد الحق الحر

تحالف الشيطان

مافيا السياسة.. و.. مافيا الأديان



THE SATANIC ALLIANCE

By Abdel - Haq Alur

First Published in September 2003

BEIRUT- LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb . www.elrayyes-books.com
. www.elrayyesbooks.com

ISBN 97 89953 21143 5

تصميم الغلاف: محمد حمادة
الطبعة الأولى: أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣

النسبية ليست في الحق ولا في الحرية
فالحق حق مطلق هو الله، والحرية حق مطلق لكل البشر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات آية رقم ١٣)

المحتويات

تقديم

كثيرة هي الإصدارات التي حاولت أن تتعاطى مع النص القرآني بعقلية جديدة وبرؤية تنسجم مع معطيات العصر الذي أصبحت «الحداثة» واحدة من أهم سماته.

لكن معظم هذه الدراسات لم تحقق الأثر المرجو منها، ولم تستطع أن تؤثر في العقل الجمعي للأمة العربية، ذلك أن وعورة الأسلوب وأكاديمية اللغة حالتا دون الجمهور العريض والتفاعل مع الأفكار والرؤى الشجاعة التي تضمنتها هذه الدراسات.

واليوم يدخل مقاتل جديد هو عبدالحق الحر إلى جبهة الإصلاح متسلحاً بلغة مباشرة، ساخنة بسيطة، وقريبة

من نبض الناس، الناس الذين لم يرِدوا على خاطر أصحاب الرؤى التجديدية والإصلاحية عندما شرعوا في تأليف دراساتهم التي تهدف إلى تغيير واقع هؤلاء الناس!

ورغم أن عبدالحق الحر قادم من المعاقل الأكاديمية، حيث تخصص في بحث ودراسة وتدريس علم الأديان المقارن، إلا أنه اختار أن يخاطب القارئ عبر كتابه: «تحالف الشيطان» بلغة هي أبعد ما تكون عن الأكاديمية، على الرغم من أن الرؤى التي طرحها الكتاب تنطلق من روح أكاديمية أصيلة. فالمنهجية العلمية التي اعتمدها المؤلف في كتابه أو بحثه الذي بين أيدينا، كانت واضحة للعيان، لكنها، وهذا هو المهم، لم تصطدم بحاجز اللغة البسيطة التي استخدمها في عرض أفكاره، بل يمكن القول إنه تعمد أن يكون الأسلوب حماسياً ليدلل على مدى انفعاله بقضايا الكتاب، وغلبت في بعض المواقع صيغة المخاطب لتجمع سياسي أو ديني.

وتأتي أهمية الكتاب العظمى، من كونه لم يتكئ في نقد التراث الإسلامي على الديموقراطية الغربية، ليس لأن الكتاب يتحفظ على المبادئ الديموقراطية، ولكن باعتباره رافضاً لبعض ممارسات الأنظمة الديموقراطية الغربية. ومن هنا يمكننا القول بأن الكتاب يقدم رؤية تقدمية غير مسبوقة، ليس فقط على صعيد العالم العربي أو الإسلامي، ولكن على الصعيد الإنساني بشكل عام.

إننا أمام مؤلف غير منتم لأحد بقدر ما هو منتم للكل. ولذلك فإنني أعتقد بأن هذا الكتاب هو الأكثر إخلاصاً، من بين جميع الكتب التي صدرت في هذا الاتجاه، للظاهرة القرآنية التي لم تتقيد بحدود الجغرافيا ولم ترتهن لروابط العرق ولم تركن إلى شروط العقيدة، في صياغتها لمفهوم المواطنة.

د. مليكة بورشيد

مقدمة المؤلف

إذا رجعنا إلى أي قاموس عربي لنتعرف إلى كلمة طغيان، فسنجد أن أصل الكلمة وفروعها على التوالي: جاوز القدر والحد، هاج، ارتفع، تعدّى، كل رأس ضلال، الشيطان الصارف عن طريق الخير، كل معبود من دون الله، بيوت الأصنام، الغلوّ والإسراف، الجبّار والمتكبر العالي.

إذاً هذه الكلمة تجسّد معاني الظلم والاستبداد والطغيان والكفر، وبالتالي تكثّف أبرز وجوه الشر المتمثل بالشيطان كمخلوق وُعد مع أتباعه وأعوانه بالعذاب الأبدي.

إذا انطلقنا من هذه الكلمة فالمنطق يقول بأن أي إنسان

ارتفع بالباطل وتعدّى وجاوز القدر والحدّ وغلا وتجبّر وتكبّر يكون قد ضلّ وألّه نفسه بغير وجه حق ليستبد ويظلم عباد الله. وبديهي أن من يفعل ذلك يكون قد قطع أواصر النسب مع إنسانيته وتحالف بالشكل والمضمون مع الشيطان سواء أكان سياسياً أم ادعى بأنه رجل دين.

هل في المجتمعات المتخلفة من لم يستبد ويتفرد بالحكم متجاوزاً بذلك حدود الفرد ليصبح إلهاً ليس بمقدور فرد أو جماعة محاسبته أو حتى معارضته؟

الطاعة العمياء لم تفرض على أحد حتى من قبل الواحد القهار القادر على كل شيء ومن بيده كل شيء. إن الله قد احترم النفس البشرية وأكرمها بالحرية وأرسل الرسل والأنبياء ليحدّثوا عقل الإنسان وقلبه ويسيروا معه بالتدرج ليصل إلى أعلى درجات الحديث وأكمل مستويات الخطاب على يدي الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام والبركات.

وإذا كان الخالق العظيم قد كرّم الإنسان بالحرية فكيف لإنسان آخر أن يسعى بكلّ الطرق حتى يستبد ويطغى على الناس ويحولهم عبيداً له يطيعونه في أمور الدنيا أو يطيعون إنساناً آخر في أمور العقيدة.

إن الأُخُوّة الإنسانية والحرية والمساواة من خلال العبودية (الطاعة) لخالق واحد لا شريك له هي جوهر الأديان

كلها. لذلك فالوجود كلّه مسلّم أمره لله شاء أم أبى. ومن اختار أن يسلم أمره لله طائعاً فقد اختار إلهاً واحداً لا شريك له، هو الرحمن الرحيم.

إن القاعدة التي تنطلق منها الأفكار والخواطر الموجودة في صفحات هذا الكتاب هي إنسانية وليست دينية، وإن كانت تستشهد بالآيات القرآنية وتضرب الأمثال بما حدث للرسالات السماوية بعد وفاة الرسل وبخاصة الرسالة السماوية الأخيرة، رسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام والبركات.

إن القاعدة التي انطلقت منها هذه الأفكار والخواطر هي القاعدة نفسها التي انطلقت منها الرسالات السماوية، وهي بحث إنسانية. فالرسالات السماوية كلها تؤسس لوحدانية الله الخالق الذي يحاسِب ولا يحاسَب، وتساوي بين البشر كلهم لا فرق بينهم: بالجنس (الذكورة والأنوثة)، اللون، الدين، القومية، العائلة أو القبيلة. العمل الصالح أو الطالح هو الميزان الإلهي الذي يحدد درجة الإنسان في الحياة الدنيا والحياة الباقية. هذا هو جوهر الرسالات السماوية، وهذا الاعتراف بوحدانية الخالق هو من أجل حث الإنسان على احترام كل المخلوقات من أجل حياة ملؤها السعادة.

والكتاب يتطرق بعد ذلك لجرائم المافيات الدينية ويعدد بعضها ويشرحها بشكل مبسط ومختصر ولا يحصرها،

فجرائم المافيات المقصودة وغير المقصودة كثيرة وتحتاج إلى كتاب مستقل.

تعمدت في الكتاب الاختصار الشديد عند عرض الأفكار التي لو أردت التوسع فيها بالطريقة الأكاديمية التقليدية في تأليف الكتب لأصبح عدد صفحاته أكثر من ألف صفحة ولأصبح أكثر من كتاب.

صممت أن لا أفعل ذلك بسبب تركيزي على قارئ ليس من الزملاء الأكاديميين المحترفين أو المفكرين لأن أغلبهم يؤمنون بما جاء في هذا الكتاب. عيني مركّزة على القارىء العربي الحديث والقاعدة العريضة من القراء الذين يطالعون الصحافة اليومية ويشاهدون البرامج التلفزيونية، ولا وقت لديهم للمطولات ويكوّنون آراءهم واتجاهاتهم من هذه الوسائل الإعلامية المملوكة للتحالف الشيطاني أو للذين تتفق مصالحهم مع مصالحه. القارئ الذي أريد التوجه إليه لديه سؤال يؤرقه: لماذا نحن مرحاض العالم الحديث المتقدم وزبالته ومؤخرته؟

ويأتيهم الجواب من تلك الوسائل الإعلامية إما على شكل جرعة تخدير تنقله من واقعه المرير إلى أمجاد الماضي ورموزه بواسطة نجوم تلفزيونية يقال عنهم دعاة أو وعاظ لا يختلفون في شكلهم عن نجوم السينما، وإما بإرجاع السبب إلى العالم المتقدم الذي يتآمر ضدنا للحيلولة بيننا وبين استرجاع ذلك المجد التليد، ولنهب ثرواتنا وتقويض أركان ديننا.

إن بعض المفكرين من أكاديميين وغير أكاديميين أجابوا عن السؤال الإجابة الصحيحة داخل الحقل الأكاديمي أو خارجه بطريقة لا تصل إلى القاعدة العريضة التي أركز عليها، ومع ذلك لوحقوا بتوجيه الاتهامات لهم بالردة والعمالة والخيانة، وعوقبوا إما بسجنهم وتعذيبهم أو إعدامهم أو بتطليق زوجاتهم منهم أو استتابتهم. اختار معظمهم - ممن لم يقذفهم التحالف الشيطاني (وراء الشمس) - الهجرة إلى بلاد الله الواسعة، وأنا واحد منهم، ولكنني مصمم على الوصول إلى القاعدة العريضة المغسولة أدمغتها، المسممة أفكارها. ولقد اعتمدت في ذكر الوقائع التاريخية في الكتاب على مرجعين تاريخيين مهمين معتمدين. أحدهما إسلامي هو (تاريخ الطبري) والآخر عالمي (قصة الحضارة) لمؤلفه ول ديورانت.

كلمة لا بد منها

سيلاحظ القارئ من الأسطر الأولى في الكتاب إلى الأخيرة أني أطلقت تسمية المافيا (وهي تعني عالمياً الآن الجريمة المنظمة) على رجال الدين والسياسة في عالمنا منذ الانقلاب الأموي على الإسلام الهش الذي تحول من إسلام الشورى إلى ملكية وراثية بيزنطية ترفع راية إسلامية مزيفة.

لا يداخلني أي شك من أن الكثير الكثير من الذين نطلق عليهم الفقهاء في كل المذاهب والفرق الإسلامية، والقليل القليل من رجال السياسة والحروب، كانت

نواياهم حسنة في خلال الألف وأربعمائة عام تقريباً التي انقضت منذ الانقلاب الأموي وحتى الآن. لكن العبرة ليست بالنوايا الحسنة، وإنما بالنتائج، والنتائج هي حالنا اليوم.

أخيراً فالكتاب يحتوي في نهايته على إضافات رأيت أن أضمّها إلى الكتاب، وقد حصلت عليها من مواقع على الإنترنت، وتشمل أولاً «الطريق باتجاه واحد فقط» وهي فكرة طرأت لمفكر عربي فيما لو ذهبت شخصيات إسلامية مرموقة إلى اليابان في مؤتمر دعت إليه المفكرين والأكاديميين والساسة ورجال الاقتصاد والمال اليابانيين لدعوة اليابانيين ـ أغلبية اليابانيين لا دينيين ـ للدخول في الإسلام وما جرى في ذلك المؤتمر. وثانياً اعترافات شاب تمكن من فك أسره والخروج إلى عالم الحرية من أسر (المافيا الدينية السعودية). أما الإضافة الثالثة فعن عيد الحب في السعودية، وذلك عندما يصادر المتطرفون الورود الحمر ويحولون عيد الحب إلى عيد للكره.

ماذا صنع بنا التحالف...؟

١ ـ لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار

(صحيح مسلم ـ مجلّد ١٨ ـ ص ٢٢٩).

٢ ـ بلغ رسول الله (ص) أن أناساً كتبوا أحاديثه، فصعد المنبر وقال (ما هذا الكتاب الذي بلغني أنكم قد كتبتم؟ إنما أنا بشر، فمن كان عنده شيء فليأت به). يقول أبو هريرة: فجمعنا ما كتبناه وأتلفناه، أو قال فأحرقناه

(تقييد العلم ـ للخطيب البغدادي ـ ص ٣٤).

٣ ـ روى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن عمر: خرج

علينا رسول الله يوماً كالمودّع وقال: «إذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله وحرموا حرامه».

الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن تدوين أحاديثه لسبب أو لأسباب عديدة، قد يكون أحدها ما قاله محمد(ص) في الحديث الذي رواه أبو هريرة (ما ضل الأمم قبلكم إلا بما كتبوا مع كتاب الله) في إشارة إلى اليهود والنصارى. بعد وفاة محمد(ص) جاءت (المافيا الدينية الإسلامية) فكذبت على رسول الله وشوهت رسالته وسيرته للسيطرة على عامة الناس وتوجيههم الوجهة التي تخدم تحالفاتهم، وما نجم عنه من تفرق المسلمين واختلافهم في المذاهب الفقهية التي جعلتهم شيعاً وأحزاباً وفرقاً (عائلات مافياوية تختلف في الحجم حسب الأتباع) لا تختلف فقط ولكن تقاتل بعضها البعض.

أجاز (علم الحديث) أخذ الأحاديث عن أطفال، كعبد الله بن عباس الذي نقل البخاري عنه أنه قال (توفي رسول الله وأنا ابن عشر سنين مختوناً)، ويروى أن له في مسند أحمد ١٦٩٦ حديثاً. وكأنس بن مالك، وكان عمره أقل من عشر سنوات حين وفاة الرسول. وعبد الله بن الزبير والحسن بن علي والحسين بن علي وغيرهم. وعبد الله بن عباس لم يعرف الرسول ولا اجتمع به قبل الفتح، إذ كان يقيم في مكة مع أبيه الذي لم يهاجر إلى المدينة. بعد الفتح عاد النبي إلى المدينة وبقي ابن عباس مع أبيه في مكة وهو ابن ثماني سنوات. فمن أين له أن يقول كما يروي البخاري (والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت).

المضحك المبكي أنه وفي كل الشرائع، فإن الشهادة المقبولة هي

للبالغين رشدهم وبشروط أيضاً لا مجال لذكرها هنا. ولكن في (علم الحديث) وكتب الحديث التي يقال عنها صحيحة، فإنها قد أخذت عن الذين كانوا أطفالاً عند وفاة الرسول(ص) وعددها كبير. هذه الأحاديث المدونة وضعت في كتب الصحاح التي تعتبرها المافيات الدينية مرادفة أو مساوية لكتاب الله في التشريع، وقبلت شهادتهم وما قالوه عن رسول الله(ص). وهذا القول عن رسول الله لأطفال، يساوي كلام الله وفي أحوال ينسخه. أولئك الذين يفعلون ذلك يرفضون شهادة رجل كعمر بن الخطاب في رجل كأبي هريرة حيث منعه من رواية الحديث واتهمه بالسرقة والرشوة في ولايته على البحرين. ومع ذلك زادت أحاديثه في كتب الصحاح والسنن على خمسة آلاف حديث. ويرفضون أيضاً شهادة علي بن أبي طالب في عبد الله بن عباس الذي سرق الملايين من بيت مال المسلمين أثناء ولايته على الكوفة، وزادت أحاديثه في كتب الصحاح عن ١٦٠٠ حديث ولقبته المافيات الدينية بـ (حبر الأمة!). إنه الأمر المؤسف المؤسف، لا بل الكارثة التي حلت بالناس منذ معاوية بن أبي سفيان (حتى لا أقول منذ وفاة الرسول(ص) فذلك سيأتي ذكره في موضع آخر)، وحتى يومنا هذا. إن أموراً كثيرة تطرح على المسلمين تحت شعار الإسلام، وكلها من الأحاديث، دون أن يُتعب المسلمين أنفسهم في العودة إلى قراءة التنزيل الحكيم ودراسته دراسة مستفيضة لأن ذلك يحتاج منهم إلى وقت وجهد وتحمل مسؤولية الجرأة في قول الحق. هذا الحق الذي أجهز عليه تحالف المافيا الدينية مع المافيا السياسية. الأنكى من كل ذلك أن معظم رواة الحديث وزعماء المسجلين تجاهلوا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بمنع كتابة وتسجيل أحاديثه. ولنفترض أن هذا المنع غير صحيح، وهو من تأليف أعداء السنة، كما تروج لذلك المافيات الدينية. فكيف تفسر هذه المافيا أن كبار الصحابة، بداية بأبي بكر

وانتهاء بعلي كرم الله وجهه وغيرهم من الصحابة، لم يقوموا بكتابة الأحاديث أو تسجيلها وهم الذين حرصوا على الانتهاء من كتابة القرآن الكريم كما رتب سوره وآياته رسول الله(ص) قبل وفاته؟

كيف يجرؤ من أتى بعدهم وبعد وفاة الرسول(ص) بأكثر من ١٥٠ عاماً على كتابة وتسجيل الأحاديث؟ لا ريب أن ذلك التحالف الشيطاني أعطى لنفسه حصانة مقدسة بالادعاء أنه وحده يعين خليفة الله في أرض الله ليتصرف كما يريد في أرواح وأموال الناس، متحصناً بالذخيرة الكافية من الأحاديث الموضوعة. لقد هجروا كتاب الله لأنه عدوهم. وأصبح فقط للتلاوة والتنغيم والطرب، وليس دستوراً إلهياً يمجد شرع الجماعة ويحرّم شرع الطاغوت والطغاة ويكرم الإنسان بالمساواة والعبودية للملك واحد لا شريك له في الأرض ولا في السماء.

الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، يقول في مؤلفه (كيف نتعامل مع القرآن): إن القرآن هو خطاب الزمن كله حتى يرث الله الأرض وما عليها، خطاب الأجيال والأجناس والعلماء والمستويات الحضارية المتفاوتة، ولا يمكن منطقياً بأي حال من الأحوال أن نجمده عند فهم عصر معين. لكن المسلمين ـ كما يقول الشيخ الغزالي مرة أخرى في الكتاب نفسه ـ تركوا الكتاب للسنة ثم تركوا السنة للأئمة، ثم تركوا الأئمة للمتون فأصبح التراث حاجزاً يحول بين المسلمين وبين مصادرهم الأساسية.

لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض

في حوالي منتصف القرن السابع الميلادي قامت الدولة الإسلامية التي أسسها الرسول الخاتم(ص) على مبادئ المساواة والحرية

والعدالة، وأن الحكم للناس وشورى بينهم وليس حكراً على قبيلة أو عائلة ترثه حتى لو كانت عائلة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهو لم يترك ولداً يرثه من بعده أو يأخذ له البيعة أو يجعل له وليّاً للعهد أو نائباً يحل محله عند وفاته. كما بنى الدولة أيضاً على أن الثروة والمال العام ـ بيت المال ـ هو لعموم الناس الذين يستظلون تحت ظل هذه الدولة بصرف النظر عن عقيدتهم أو جنسهم أو عروبتهم أو أعجميتهم. تلك الدولة التي تأسست على تلك المبادئ كان يجب أن تكون البداية الحقيقية للعولمة الحقة التي أرسيت مبادئها في قول الرحمن تبارك وتعالى ﴿**يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾ (سورة الحجرات الآية ١٣).

تغلب الطبائع الجاهلية على مبادئ الإسلام الوليد

مات رسول الله(ص) فانشغل أهله من بني هاشم بغسله ودفنه. أما المهاجرون من مكة من قبيلة قريش، والأنصار من سكان المدينة المنورة (الأوس والخزرج) فقد اجتمعوا أو تنادوا للاجتماع في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة ليتقاسموا السلطة، فحدث خلاف خرجت على أثره قريش منتصرة مستأثرة بالسلطة وهمش كبار الصحابة من غير القرشيين إذ لم يدعوا إلى الاجتماع وكأنهم أتباع أو أرقاء لقريش ليست لهم أية حقوق. وانتهى الأمر إلى أن يقتل الصحابة بعضهم البعض. وكان أول الضحايا الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وتبعه الضحية الكبرى علي بن أبي طالب الذي كفره الخوارج فاغتالوه. وبذلك تحقق التخوف الذي أطلقه الرسول(ص) في خطبة الوداع عندما خاطب الجمع في عرفات (...لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض...). وبكلمة أخرى، بدأت بذور الخلل تنبت بعد وفاة الرسول(ص) فوراً وبدون تأخير.

المافيات الدينية المسيسة تريد أن تجرنا أو تسحلنا لكي نعود لعصر الخلافة (الراشدة!) قسراً وفوراً وبدون تأخير، وكل زعيم مافيا يطمع في أن يكون هو الخليفة (الراشد) أو أمير المؤمنين، كما فعلت مافيا طالبان في أفغانستان فاختارت (الملا عمر) أميراً للمؤمنين فبايعه كل الأفغان العرب وعلى رأسهم السفاح أسامة بن لادن أو زعيم الخوارج في العصر الحديث.

أعود فأسأل: كيف ولماذا حدث كل ذلك؟
أما كيف؟ فقد أجبنا عنها بشرح كيفية تهميش القرشيين لغيرهم من الصحابة، بمن فيهم بنو هاشم وكبار الصحابة كبلال بن رباح وسلمان الفارسي وزيد بن حارثة وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهم وغيرهم، لأنهم ليسوا من قريش أو الأوس أو الخزرج. وإذا جئنا إلى (لماذا) فالشرح يطول. فلقد بدأ العد التنازلي لرسالة النبي والرسول محمد(ص) عندما تغلبت الثقافة الجاهلية على الرسالة السماوية التى جوهرها أن الله واحد وأن البشر متساوون لا فرق بين عربي وعجمي، ناهيك عن قرشي وغير قرشي، ولا بين أبيض وأسود فكلنا من آدم وآدم من تراب وأكرمنا عند الله هو أتقانا، والتقوى هي عمل الصالحات واجتناب المحرمات. وتم اختيار الخليفة الأول أبو بكر الصديق من قبل بعض جماعة من المسلمين في المدينة المنورة وليس كلهم، وتم ذلك على الطريقة القبلية. واستأثرت قريش بالسلطة وضربت عرض الحائط بالمساواة. ولم تخطر ببال أي من المجتمعين في سقيفة بني ساعدة من القرشيين والأوس والخزرج سورة «عبس وتولى» التي نزلت عتاباً للرسول(ص) وتأنيباً على خرق المساواة التي بعثه الله من أجلها عندما أهمل الأعمى الذي كان بين يديه ليرحب بزعماء القبائل الذين دخلوا عليه. كما لم يفكروا في ابنة عمة رسول الله زينب بنت جحش التي أمرها الله بالزواج من

العبد المحرر زيد بن حارثة خادم رسول الله(ص) لتطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع. وهكذا حدث أول انحراف ظهر على أثره إسلام جديد يختلف عن إسلام الرسول(ص)، إسلام الجماعة. هذا الإسلام الذي يمكن أن نطلق عليه (الإسلام القبلي) وقبيلة قريش بالتحديد، تلته انحرافات وفتن بدأت بتعيين أبي بكر الصديق عمر بن الخطاب ولياً لعهده ثمناً مقابل إقناع الأنصار (الأوس والخزرج) بالموافقة على أن تكون الخلافة أو الحكم في قريش. اغتيل عمر وحدد من بين الصحابة ستة من قريش لم يكن منهم أي من كبار الصحابة غير القرشيين، فاختير من بين الستة عثمان بن عفان ليحكم حكماً مطلقاً أو حكم شيخ القبيلة كما حكم من قبله أبو بكر وعمر، وقتله الصحابة لرفضه قرار الجماعة بتنحيته وتعيين علي ابن أبي طالب، الذي اغتيل هو الآخر. مسلسل الفتن والعنف أعقبته أنهار الدماء وأكوام الخراب التي لازالت قائمة إلى يومنا هذا. وتحولنا إلى حيوانات في غابة لا نفهم إلا لغة العضلات. وآمنّا بالأشخاص «الطواغيت» وكفرنا بالله سبحانه وتعالى عندما تخلينا عن المساواة فظهرت أنواع عديدة من الإسلام!

سيل الانحراف المتلاطم

يقول الصادق النيهوم رحمه الله في كتابه (أكثر من حديث.. وأكثر من سنة):

> لقد كان الخيار الوحيد المتاح أمام الأمويين، هو أن ينقلوا نظم الإدارة في بيزنطة، بقدر ما في حوزتهم من الدقة في النقل، وهي مهمة أداها الأمويون بسذاجة أعرابي، جاء متأخراً عن درس التاريخ بحوالى سبعة آلاف سنة. لقد خسروا ضوء الشرع الجماعي، وبات عليهم أن يتلمسوا طريقهم في الظلمة بين أطلال حضارات قديمة، حافلة بالفخاخ.

نقلوا نظام الحرس الملكي.
ونقلوا نظام الديوان.
ونقلوا نظام الخدم.
كل فكرة نقلها الأمويون عن بيزنطة، كانت فكرة مميتة، أثبت التاريخ خطرها، لكن الأمويين لم يكونوا أصلاً سوى أعراب أميين، وكان عليهم أن يتعلموا الدرس بأنفسهم، ويعيدوا المسيرة من أولها، خطوة، خطوة، في طريق لا يختلف عن طريق بيزنطة، إلا في نقطة هائلة واحدة، وهي حاجة الأُمويين إلى التعايش مع نص القرآن.

فهذه مشكلة لم تواجه ملك بيزنطة، ولم تواجه ملكاً غيره طوال التاريخ، لأنها مشكلة طارئة على تاريخ الكتب المقدسة مثل نص القرآن نفسه.

فالأمر بالحفاظ على النص الشرعي، من دون ترجمة أو تغيير، أمر انفرد به القرآن وحده، من دون بقية الكتب المقدسة. وقد تعمد الرسول عليه الصلاة السلام، أن يشرف بنفسه على جمع القرآن، وترتيب آياته، وتدوينه، بعد مراجعته، كلمة بكلمة، وحرفاً بحرف، وبذلك أبلغ الرسول الأمين، رسالته بأمانة، وجمع دستور الشرع الجماعي، في (كتاب محفوظ)، لا تخرج منه كلمة، ولا تضاف إليه كلمة، ولا يشكك أحد في مصدره لأنه كتاب الله ولا يشكك أحد في نصه لأُنه منقول عن رسول الله شخصياً.
كان النص القرآني في دولة الأمويين صوتاً عالياً وخطيراً جداً لا يخاطب الدولة المسؤولة، بل يخاطب الناس، ويحمّلهم المسؤولية، ويجمعهم تحت اسم واحد، ويحرضهم

علناً ضد سلطة فرعون، وفي دولة يحكمها فرعون شخصياً. كان هذا الصوت، دعوة علنية إلى الثورة المسلحة. إن الدولة الأموية، تواجه مشكلة لا تعرف لها حلاً، ولم تواجهها دولة إقطاعية من قبل، وهي حاجتها إلى التعايش مع دستور شرعي، لا يعترف بشرعية الدولة الأموية.

في ظروف هذا التناقض الشامل، لم يكن أمام الخليفة الأموي، سوى أن يصادر القرآن، أو يكتشف لنفسه قرآناً آخر لا يناصبه العداء. ولأن الخليفة، كان رجلاً سياسياً، وليس أحمق مغامراً، فقد ترك القرآن وشأنه. وعمل على إيجاد نص شرعي جديد اسمه الحديث.

لم يكن الرسول نفسه، قد اعتمد الحديث مصدراً للتشريع، ولم يجمعه، ولم يوص بحفظه. وبالتالي، لم يكن الحديث كتاباً محفوظاً في صيغة محددة، يصعب تحريفها، أو الإضافة إليها. ومن هذه الثغرة الطارئة، تسلل إلى الإسلام، نص شرعي جديد، منقول أيضاً عن رسول الله، لكنه ليس القرآن.

وخلال وقت قصير، كان الحديث قد أصبح علماً جديداً، هدفه المعلن أن يحفظ سنة رسول الله، وهدفه غير المعلن، أن يخول للفقهاء سلطة التشريع نيابة عن الأغلبية، وقد عمد الإمام الشافعي إلى تحديد مصادر الشرع، في أربعة مصادر، هي القرآن والسنة والإجماع والقياس، وفسر الإجماع على أنه إجماع الصحابة، وليس إجماع الناس أنفسهم، مما ترتب عليه تلقائياً، أن انقسمت السنة بدورها، بين مذاهب الفقه، فأصبح للشيعة أحاديث، وللخوارج

أحاديث، وانفتح الباب المسحور، الذي سيحاول الفقهاء إغلاقه عبثاً منذ ذلك الوقت، حتى الآن، بكتب تصحيح الحديث، وكتب تصحيح التصحيح.

تفرق الفقه الإسلامي بين المذاهب إلى ما لا نهاية، وظهرت في الإسلام من الفرق الدينية، أكثر مما ظهر في جميع الأديان مجتمعة، في جميع العصور، وغاب صوت الأغلبية، وراء صوت الفقهاء. وأكثر من كل شيء آخر، غاب التفسير الجماعي الحي للقرآن.

فلم يعد فرعون، هو الحاكم المتسلط الذي يعيش حياً بين الناس، بل أصبح هو ملك مصر الذي تسلط على اليهود، خلال الألف الثانية قبل الميلاد.

لم يعد الدين هو الطريق إلى العدل في واقع الناس، بل أصبح هو الطريق لتعويضهم في حياة غائبة أخرى.

لم يعد الصابرون هم الناس الذين يصبرون على الشدائد في سبيل تغيير واقعهم، بل أصبحوا هم الناس الساكتين، الذين ينتظرون أن يتغير واقعهم بطول السكوت.

لم يعد جنود هامان هم الحرس الملكي الذي يسد الطريق إلى قصر الخليفة، بل أصبحوا قصة تاريخية، يرويها القرآن لغرض التاريخ، عن حرس ميتين، كانوا في حراسة طاغية ميت.

* * *

المفكر الليبي الصادق النيهوم، الذي مات في سويسرا، ما كان له أن يكتب وينشر ما كتب عن السنة المزيفة في ظل تحالف المافيا الدينية مع المافيا السياسية في أي من البلاد التي تطلق على نفسها إسلامية، والتي جاءت لتكون بديلة لكتاب الله ـ السنة الأصلية ـ وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي حمّل أمانة التشريع والسلطة للجماعة وليس لأفراد أقاموا ممالك إسلامية غير شرعية قامت ـ منذ معاوية وإلى يومنا هذا ـ على دماء المتصارعين بالسيوف والخناجر والمنجنيق. حتى الكعبة المشرفة لم تحترم حرمتها، وانتزع الحجر الأسود الذي وضعه الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام بيديه الشريفتين في المكان الذي وضعه فيه، من قبل الخوارج. وليس ببعيد عن يومنا هذا ما أحدثه (جهيمان) وعصابته الذين أسالوا الدماء في بيت الله وحرمه في عهد ملك (يملك!) مكة المكرمة والمدينة المنورة هو حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز.

منذ (صاحب الجلالة الملك!) معاوية بن أبي سفيان وولي عهده (صاحب السمو) يزيد بن معاوية و إلى يومنا هذا، لم تقم أي دولة يقال لها عربية أو إسلامية إلا على أسنة الرماح أو أزيز الرصاص أو دوي القنابل ولهيب الحرائق. وأول الضحايا في كل صراع على مدى أكثر من ألف وأربعمائة عام هي رسالة السماء الأخيرة للناس كافة، وهي التوحيد والمساواة ونشر السلام. والفقهاء في كل عصر وكل دولة سابقة أو معاصرة يستنبطون من المستنبط فتاوى لم تخولهم الجماعة حق إصدارها. وهي تستند إلى السنّة لإضفاء الشرعية على القوي الذي يقتل الناس ويستأثر بالمال والسلطة. حتى وصل الأمر في عهد الدولة العثمانية (الإسلامية) أن يفتي المفتي الأعظم للدولة ومجلس كبار الفقهاء ـ الذي عينه وعينهم السلطان

ـ لمن يتولى السلطة أن يذبح إخوته أبناء أبيه حلالاً، رجالاً وأطفالاً، بدون أن يرف له جفن أو يشعر بذنب. فالأخ الطفل، والأخ الصبي، والأخ الرجل حلال قتلهم لأنهم (ربما) يتآمرون على (الخليفة) ويحدثون فتنة بين المسلمين، والقرآن يقول (...الفتنة أشد من القتل!!!)، فحلال قتل مَن مِن المحتمل أن يُحدث فتنة. أي أن كل إنسان في سجن (الخليفة) الكبير، وهو الوطن، يحل قتله لأنه من المحتمل أن يحدث فتنة (قد) تلحق الأذى بالسلطان المتمتع بكل ما توفره السلطة المطلقة من متع ورغبات وتقديس.

هذه فتوى فقهاء اختارهم السلطان ولم تخترهم الجماعة، أي الناس. ووصل الأمر أن أطلق الفقهاء على هذا السفاح اسم محمد (الفاتح)، الذي استباح مدينة القسطنطينية وأفنى من فيها حتى بدون أن يسمح لهم بتركها والهجرة الجماعية إلى اليونان، وحوّل الكنيسة المركزية لمسجد، ولم يجرؤ أي زعيم من زعماء مافيا الدين الإسلامي أن يذكّره بتعامل عمر بن الخطاب مع مسيحيي القدس ومدينة القدس وكنيسة القيامة ومعابد عبدة النار في إيران وكل المقدسات غير الإسلامية. لا بل وصل بهم الأمر أن افتروا على رسول الله(ص) بحديث مفاده أنه سيأتي من بعده قائد اسمه محمد يفتح القسطنطينية، وكأن الرسول(ص) يعلم الغيب، ويمجد الطغيان والفساد في الأرض ويعطي الشرعية للظلمة والمستبدين.

أول عائلة مافياوية في التاريخ الإسلامي

أول عائلة في تاريخ المافيا الدينية الإسلامية كانت بعد موقعة صفين التي يمكن وصفها بأنها امتداد للمعارك في الجاهلية بين بني أمية وبني هاشم على السلطة في مكة المكرمة، والتي انتهت بانتصار بني أمية ممثلين في معاوية بن أبي سفيان على بني هاشم ممثلين في علي

ابن أبي طالب. وهكذا نشأت أول مملكة في التاريخ الإسلامي، وهي مملكة أو إمبراطورية بني أمية، يرأسها ملك أطلق على نفسه الخليفة الذي لا يمكن محاسبته وهو مطلق السلطة، ولديه سيّاف يقطع الرؤوس المعارضة وممثل للمافيا الدينية يبرر له بالأحاديث أفعاله الظالمة.

منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا، في كل أو معظم أوطان ما يطلق عليه العالم الإسلامي، فإن الحاكم وإن تعددت ألقابه: خليفة، ملك، أمير أو رئيس، يبقى متسلطناً ومتسلطاً في السلطة مدى الحياة.

كان أبو هريرة أول من كوّن عائلة مافيا دينية إسلامية التفت حول الخليفة، أو الملك أو الإمبراطور معاوية بن أبي سفيان لتعطيه الشرعية ويعطيها المال. وفي الوقت نفسه تكونت أول عائلة مافياوية دينية أخرى تستعمل الدين للوصول إلى السلطة بالقوة المسلحة والقتل والاغتيالات وتكفير غيرهم، وهم الخوارج الذين كفّروا علي بن أبي طالب واغتالوه. وخرج من عباءة هاتين العائلتين عدد لا حصر له من المنظمات والتنظيمات، أو بتعبير أدق المافيات الإسلامية في كل مراحل التاريخ الإسلامي وإلى يومنا هذا. آخر هذه التنظيمات هو (القاعدة) بقيادة وزعامة أسامة بن لادن الذي تمكن من جمع كل العائلات المافياوية الصغيرة تحت قيادته.

قلنا إن تحالف أبو هريرة مع معاوية أوجد السنة أي الأحاديث النبوية. قبل ذلك كان أمير المؤمنين المختار سلمياً هو الفقيه الذي يجتهد في تأويل آيات القرآن ويستشير الصحابة حتى المعارضين له. وكانوا يؤمنون أن النصوص إنما أنزلت لخدمة الإنسان وتيسير حياته وأن شرع الجماعة هو شرع الله. وهذا ما جعل عمر بن الخطاب في صدر الإسلام يرفض دفع صدقات للمؤلفة قلوبهم، مع أن النص

القرآني يقول إن دفع الصدقات للمؤلفة قلوبهم (المشركين الذين لم يؤمنوا بعد) فريضة من الله ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ (سورة التوبة الآية ٦٠). وهذا ما دفع أبا بكر الصديق لقتال إخوانه من المسلمين في جزيرة العرب عندما رفضوا دفع الضرائب التي كانوا يدفعونها للرسول(ص) (الزكاة) وقال عبارته الشهيرة (لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم).

الفقه في خدمة السلطة

النصوص القرآنية نوعان: الأول خاص (المتشابه) والثاني عام (المحكم). فالخاص يخص المناسبة التي أنزل من أجلها، أو هو أمر قائم واقع وقت النزول ومن الصعب تغييره كأحكام الرق وملك اليمين وقطع يد السارق وتعدد الزوجات والإرث وحقوق المرأة وغيرها الكثير الذي جاء ذكر أحكامه في القرآن، والذي تتطور أحكامه تبعاً للزمان والمكان والتقدم والتطور الإنساني في مختلف أوجهه. أما العام فهو يخص وحدانية الله والمساواة بين البشر ومكارم الأخلاق ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذّكر إلا أولوا الألباب**﴾ (سورة آل عمران الآية ٧). أما الشعائر الإسلامية فليس للأئمة والفقهاء (زعماء المافيات الدينية التي تشرع للظلم والطغيان وتجيزه شرعاً) فضل في شرحها لنا. فكل صحابي مسلم عاصر الرسول(ص) تعلم منه الصلاة والصوم والحج، وتعلم أولادهم منهم، وهكذا إلى يومنا هذا. وما أن ظهر رجال

الدين أي الفقهاء صغيرهم وكبيرهم حتى تفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً ومذاهب، فتعقدت الأمور بعد أن كانت يسيرة حتى في الشعائر الدينية من صلاة وصيام وحج، وتاجر هؤلاء الفقهاء بالأحاديث النبوية لإرضاء السلطة التي تحالفوا معها كالأمويين والعباسيين وغيرهم. لقد شلوا قدرة المجتمع على التفكير وعملوا على إرجاع الأمور كلها للقضاء والقدر، ونسوا أو تناسوا أن الإنسان لم يكن ليحاسب لو لم يكن مسؤولاً عن كل تصرفاته في الحياة الدنيا. فنحن مخلوقات خلقت للعلم والعمل مع التسليم للخالق الواحد. لقد نبت الفقهاء عبر العصور عشوائياً. فهم إما فقهاء سلطة يبررون وجودها وشرعيتها، يحللون الحرام ويحرمون الحلال ويجلس معظمهم في مجالس (الخلفاء) الطواغيت العاهرة من دون أن يرف لهم جفن. أو فقهاء معارضة يعارضون طمعاً في استيلائهم أو استيلاء أشياعهم على السلطة المطلقة ليتمتعوا بالدنيا كما تمتع من أطاحوا بهم من قبلهم. إن سنة الله في الحياة لن يستطيع الإنسان تبديلها أو تحويلها. الخرافات من إسرائيلية وغيرها التي غزت كتب الأحاديث والتي تقول بنبوءات الرسول(ص)، تأييداً أو معارضة لوجهة نظر معينة، هي افتراء عليه لأن القرآن الكريم يؤكد عدم معرفة الرسول(ص) للغيب ﴿**...ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾ (سورة الأعراف الآية ١٨٨). ويعلل الفقهاء إصابة الإنسان بالضر على أنه قضاء وقدر مع أن الإنسان مكلف، الضرّ يأتيه من نفسه والخير يأتيه من الله ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وأرسلناك للناس رسولاً، وكفى بالله شهيداً**﴾ (سورة النساء الآية ٧٩). إننا وللأسف أصبحنا أتباع دين من الأديان، مع أن رسالة آخر الأنبياء والرسل هي للناس كافة تستظل في ظلها كل الأديان. فهدفها الأساسي هو تصحيح ما زوّر في كل الأديان السابقة.

الآيات المحكمات والآيات المتشابهات

منذ موقعة صفين التي انتصر فيها معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي طالب بدأ ظهور إسلام آخر غير الإسلام القبلي، وهو الإسلام الملكي بزعامة معاوية. وتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً وكل شيعة أو حزب أو عائلة مافياوية تستعمل الدين للوصول إلى السلطة أو إعطاء الشرعية للسلطة القائمة. منذ ذلك الوقت وإلى اليوم وغداً وبعد غد و إلى الأبد، إذا لم نتوقف عن مخاطبة الغير باسم الله - تبارك وتعالى - وآياته في الكتاب الحكيم للوصول إلى السلطة وإرغام الناس على اتباع ما نؤمن به باعتبارنا نملك الحقيقة، إذا لم نتوقف عن ذلك ونعِد قراءة كتاب الله وآياته ونعِيها ونتدبرها ونتذكرها ونفكر فيها، فإننا ولا شك سنصبح أمة هالكة.

يقول الله تعالى في كتابه الذي أنزله على رسوله في سورة آل عمران: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلاّ الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب**﴾، الله سبحانه وتعالى يقرر أن آيات القرآن تنقسم إلى قسمين، قسم محكم وهو في رأيي يتكون من:

١ - آيات القصص القرآني الذي يحكي عن الأمم السابقة وأسباب هلاكها ومصير هذه الأمم يوم الحساب، لنستخلص العبر ونتفكر فيها ولنتذكر عندما نواجه ما واجهت حتى نتمكن من تفادي المصير الذي آلت إليه.

٢ - آيات سير الأنبياء والرسل، والتي نكتشف إذا أمعنا النظر فيها أن رسالاتهم جميعاً واحدة وتنطلق من ذات القاعدة، وهي

أن الناس سواسية وأن الله واحد وأن الإنسان يجزى على أعماله، وأن الرسل والأنبياء لا يحق لهم محاسبة أحد لأنه يختلف معهم، وهم ليسوا وكلاء عن الله على الناس، والنبي أو الرسول ما هو إلاّ مبشِّر ونذير وما عليه إلاّ البلاغ.

٣ ـ آيات تشجع الإنسان على اتباع مكارم الأخلاق والتي هي موجودة وضدها في الإنسان **﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾** ـ (سورة الشمس). مكارم الأخلاق لا علاقة لها بدين أو جنس أو قومية، فليس هناك كذب مسيحي وصدق يهودي أو كرم أنثوي وبخل رجولي أو شهامة إنكليزية وجبن عربي إلى آخره.

٤ ـ آيات الشعائر الدينية من صلاة وصوم وحج. وهذه نتبعها كما فهمها وأدّاها واستوعبها رسول الله (ص) ونتوارثها أباً عن جد.

أما القسم الباقي من القرآن فهو آيات متشابهات، كالأحكام والأوامر الإلهية وآيات القتال وجهاد القتال التي أنزلت لتتعامل مع الواقع الذي كان يعيشه العرب في شبه الجزيرة العربية، والتي تتغير بتغير الزمان والمكان وظروف الدعوة وما يجابهها من مصاعب وعقبات.

الآيات المتشابهات تعاملت مثلاً مع واقع المرأة في ذلك الوقت والتي لم تكن لها أية حقوق، فكان عدلاً أن تأخذ بعض الحقوق التي لم تكن تحلم بها في أي مكان من العالم، ولم يكن من الممكن أن يقبل الرجل في ذلك الوقت مساواته بها. أما الآن فليس عدلاً أن لا تكون المرأة مساوية للرجل لأنها تحاسب على أعمالها في الحياة الدنيا والآخرة مثلها مثل الرجل، أي عليها من الواجبات مثل ما

على الرجل. فلا بد لكي يأخذ العدل مجراه أن تكون لها الحقوق ذاتها، وفي يوم الحساب لن يكون حسابها أقل وحساب الرجل أكثر.

الآيات المتشابهات تعاملت مع الرق، وملك اليمين بدون حدود، وقطع يد السارق والزواج بدون حدود أيضاً، وأحكام الطلاق وغيرها وغيرها التي كانت صالحة للمجتمع المؤمن الجديد المكبل بالعادات القبلية والجاهلية والشرك. أما الآن أو قبل الآن في الزمان والمكان، فإن الجماعة أو ممثليها (أولي الأمر) هم الذين يشرعون ويعدلون، فالنصوص التي تحتج بها المافيات الدينية إنما أنزلت لكي تخدم الإنسان وتتعامل مع واقعه في ذلك الوقت، ولم يخلق الإنسان من أجل أن يخدم النصوص ويطبقها. والذين يحتجون بهذه الآيات يصفهم القرآن بأن في قلوبهم زيغاً، والزيغ في اللغة هو الميل عن الحق الذي يؤدي إلى إشعال الفتن والخوض في الدماء البريئة.

عمر بن الخطاب ألهمه الله ففهم المقصود بالآيات المتشابهات وألغى فريضة فرضها الله وهي إعطاء المؤلفة قلوبهم (المشركين) من الصدقات، كما في هذه الآية من سورة التوبة: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله، فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾.

عمر بن الخطاب ليس أعلم ولا أحكم من الله ـ تعالى الله ـ عندما ألغى هذه الفريضة التي فرضها الله، ولكنه يعلم أن القرآن فيه آيات محكمات وأخر متشابهات، واعتبر هذه الآية من الآيات المتشابهات التي أنزلت على رسول الله (ص) لتتعامل مع حدث أو أحداث معينة في ظروف معينة ومع أناس معينين.

الخوارج إحدى أوائل العائلات المافياوية الدينية، اغتالت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد أن كفرته وأحلَّت دمه وهو ابن عم رسول الله (ص) وزوج ابنته فاطمة الزهراء. هذه الفئة استعملت القرآن وآيات كتاب الله المتشابهات لحمل السلاح واستعمال العنف والقتل ضد المسلمين لأنهم في رأيهم كفرة تجب مقاتلتهم وقتلهم بنص آيات كتاب الله المتشابهات والتي حذّر الله سبحانه وتعالى نبيه وبالتالي المؤمنين من اتباعها ابتغاءً أو طلباً للفتن التي ما زلنا غارقين فيها إلى يومنا هذا. ومنهم بن لادن في عصرنا وقبله من الخوارج في صدر الإسلام وورثتهم إلى يومنا هذا، الذين اتبعوا وما زالوا يتبعون ما تشابه من آيات القرآن ليشعلوا الفتن ويصدوا عن سبيل الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. العدل هو شرع الله ونظامه وقانونه وسنته، وشرع الجماعة عادل لأن يد الله مع الجماعة، والعدل عملية متغيرة وتراكمية، فما كان عدلاً قبل عشر سنوات مثلاً قد لا يكون عدلاً اليوم. كان الرق عدلاً، وكذا أحكام ملك اليمين، وكذا حقوق المرأة في القرآن بالنسبة لوضعها في الجاهلية عندما كان الرجل يفعل بها ما يشاء بدون عقوبة حتى ولو دفنها حية كما كانوا يفعلون بأطفالهم من الإناث قبل الإسلام. يكفي أن نضرب مثلاً بعقد الزواج وحقوق المرأة عندما يفسخه الرجل الآن بالطلاق الذي يستأثر فيه بهذا الحق في أغلب المذاهب، وكذلك حق امرأة أخرى تعمل عند الرجل كخادمة. القوانين تعطي الخادمة حقوقاً عند تسريحها أكثر من الحقوق التي يعطيها شرع المافيات الدينية التي تدّعي أن هذا شرع الله. فشرع الله هو العدل، وأي حكم فيه حتى ولو شبهة ظلم ليس له علاقة بشرع الله. والمافيات الدينية التي تستعمل النصوص أو الآيات المتشابهات لتدّعي أن ذلك هو شرع الله، هي نفسها ظلم والقائمون عليها ظلمة ومن يطعهم فقد ظلم نفسه. إذا أردنا أن نفهم حقيقة كلمة

العدل، علينا أن نعي كلمة أخرى مشتقة منها وهي تعديل. فعندما يعدل المشرع قانوناً أو نظاماً أو حكماً قائماً فليس معنى ذلك أنه ليس عادلاً، فهو كان عادلاً عند صدوره وبمرور الوقت أصبح غير عادل فوجب تعديله.

تاهت الرسالة بموت الرسول

مر من الزمان أكثر من ألف وأربعمائة عام ورسالة السماء الأخيرة التي جاء بها الرسول محمد(ص) ضائعة في التيه، ولقد فقدنا العولمة الحقة النابعة من رسالة السماء التي أعطانا الله إياها، وهي تمثل إرادته فينا، وأصبحنا منذ صدر الإسلام وإلى يومنا هذا نسبح في الدماء ويتراكم علينا الخراب ولا نعتبر بما حدث للأمم قبلنا **﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون، ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، إنا من المجرمين منتقمون﴾** (سورة السجدة). الله سبحانه وتعالى لا يبدل أو يغير سننه مهما قلنا أو حاولنا أن نثبت أننا أتباع محمد(ص) وأننا نؤمن بكل الرسالات السماوية وكتبها المنزلة. الرسل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام براء مما حصل يوم اجتماع «السقيفة» عندما همشت الأغلبية القرشية والأنصار من الأوس والخزرج في المدينة المنورة كبار الصحابة لأنهم ليسوا قرشيين أو من الأوس والخزرج. فلم يُدع أي منهم إلى اجتماع السقيفة الذي تم فيه اختيار أبي بكر الصديق ليخلف رسول الله ضد مبدأ وجوهر كل الرسالات السماوية وهو المساواة. أما في يوم صفين فقد رجعنا إلى شرك وكفر الجاهلية يضرب بعضنا رقاب بعض، وانتهى الأمر إلى تكفير علي بن أبي طالب وقتله! لقد أغرقنا أنفسنا في خلافاتنا النابعة من ابتعادنا عن شرع الله الآمر بالمساواة، وانصرفنا عن شرع الجماعة أي شرع الله وعدنا إلى شرع الفرد الطاغية، شرع الشيطان.

وتحكم فينا تحالف المافيا السياسية مع المافيا الدينية، فوصلنا من حيث ندري أو لا ندري إلى ما نحن فيه الآن من جاهلية وانحطاط وتخلف.

في عالمنا (الإسلامي):
الإسلام في الزنزانة وفي الغرب مطلق السراح

من نكد الدنيا على الإنسان العاقل الذي يتبصر ويتفكر وينظر ويتذكر آيات الله في نفسه وفي هذه الدنيا من حوله، أن يكتشف أن الإسلام هو دين كل الرسل والأنبياء وأن الله سبحانه وتعالى أكمله بكتاب الله المنزل الذي اكتمل به دين الإسلام الذي بدأ بنوح. وجاءت النذر والرسل والأنبياء بالإضافة والنسخ حتى اكتمل بالرسالة الخاتمة الكاملة وهي الكتاب المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي لم يفرط الله فيه من شيء، والذي أكمل به للناس كافة دينهم ورضي لهم الإسلام ديناً بهذا الكتاب المنزل. من نكد الدنيا والمضحك المبكي أن هذا الدين الكامل ـ الإسلام ـ أصبح مقيداً بالقيود والأغلال (بعد أن أسره وسجنه) من يطلقون على أنفسهم (المسلمون).

ومن المدهش (المستغرب) أن هذا الدين مطلق السراح مطبقة تعاليمه عند المسيحيين واليهود في الوقت الحاضر لأنهم طلقوا أحاديثهم (النبوية) وتشبثوا بشرع الجماعة. تركوا شرع الكهنة والحاخامات والبابوات الذين حرّفوا التوراة والإنجيل، وتمكنوا من إعطاء الأسير المطلق لديهم مزيداً من الحرية قبل وأثناء وبعد حربين عالميتين راح ضحيتهما ملايين البشر واستهلكت فيهما أموال يستحيل تقديرها وخراب لا حدود له. لكنهم وصلوا أخيراً في غرب أوروبا وفي بقع أخرى صغيرة من هذا العالم إلى شرع الجماعة، شرع الله. وهم

جميعاً يعيشون اليوم في ازدهار وتقدم بعد أن قضوا على شرع الطغاة وأرسوا قواعد شرع الجماعة الذي يؤدي للتقدم والازدهار.

أما نحن فمنذ أن وضع (صاحب الجلالة الملك المعظم!!) معاوية بن أبي سفيان أسيره الإسلام في السجن بعد معركة صفين التي انتصر فيها شرع الفرد الطاغية، ونحن نمر بحروب وكوارث واستعباد واحتلال واستعمار يضع فيها المنتصر مزيداً من القيود على الأسير وينخفض فيها ارتفاع سقف الزنزانة وترفع حوله أسوار السجن، حتى انخفض السقف إلى الدرجة التى أطبق فيها على أنفاس الإسلام وارتفعت فيها الأسوار حتى لامست الغيوم. وكل منتصر يستأجر مزيداً من الفقهاء ـ الحراس لهذا السجن ـ حتى لا تكون هناك وسيلة أو طريقة لفك أسر الأسير وإطلاق سراحه.

الذين طلّقوا أحاديثهم (النبوية) المزيفة وجردوا المافيات الدينية من سلطتهم وسلطانهم على الناس (حيدوهم)، وقضوا على المافيات السياسية، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم ورقي وعز. ونحن الذين اخترعنا من العدم السنة أو الأحاديث النبوية وطلّقنا بها شرع الجماعة، شرع الله، وصلنا إلى ما وصلنا إليه من ذل وخزي وعار واحتلال وانكسار. ألسنا نحن المسلمين الذين ندعو في دعاء القنوت (..أنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت)؟ ألا يصب علينا اليوم الذل صبّاً، بينما الغرب الأوروبي والأميركي والشرق الياباني يعيشون في عز الحرية والمساواة التي كان منوطاً بنا نحن نشرها بين الناس، وعندما نفعل ذلك ينطبق علينا قول الله ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس...**﴾.

تعالوا لنقرأ جميعاً بتمعن وتبصر وتفكر وتذكر بعضاً من الفصل

السابع عشر من الكتاب الرائع (الإسلام في الأسر) للمفكر الليبي الصادق النيهوم وهو بعنوان: (خيانة مرفوعة الرأس):

«مصطلح الحديث، اسمه (علم السنة) في لغة الفقه، وهو علم لا يعترف بمنهجية العلم، بل ينتحل لنفسه صفة القداسة، ويتوجه لاستنباط أحكام شرعية من أحاديث منسوبة إلى رسول الله، من دون دليل علمي واحد. لكن الصفة الأكثر مدعاة للريبة، في منطق هذا العلم المقدس، أنه يقوم صراحة على مخالفة صريحة لسنة رسول الله بالذات.

فالرسول لم يكتب الحديث، ولم يطلب من أحد أن يكتبه، ولم يقل إنه مصدر للتشريع، لا في مكة، ولا في المدينة، ولا في السر، ولا في العلن.

وقد اختار الرسول أن يعلن ذلك بنفسه، في حجة الوداع، واعتمدها القرآن في قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** (سورة المائدة الآية ٣). إن كلمة (أكملت) تفيد صراحة بأن النص الشرعي قد اكتمل في صيغة القرآن، وأنه لم يعد يحتاج إلى إضافات، وأن كل نص، يزيد عليه أو يخالفه، يصبح تلقائياً خارج الشريعة. لكن علم السنة الذي نشأ بعد مائة عام من (اكتمال) الشريعة، عاد فاكتشف أنها لا تزال ناقصة، وورط نفسه في كتب الحديث النبوي، متعمداً أن يحيي منهج الرواية الشفهية الذي جاء القرآن أصلاً لإلغائه. إن هذا «العلم» الطارئ يرتكب خطأً مريباً، لا يليق نشوؤه في شريعة (اكتملت، وتمت) بشهادة من الله ورسوله معاً. إن ظهور علم السنة كان مجرد رد سياسي على (سنة الله) بالذات.

فقبل أن يولد الإمام مالك، الذي افتتح مسيرة الحديث، كانت شريعة الإسلام الجماعية قد خسرت الحرب على السلطة، وأخلت مكانها لحكومة إقطاعية قائمة على مبدأ الحق الإلهي المقدس في الحكم. وهو مبدأ يستحيل احتواؤه في دستور الشرع الجماعي، ويحتاج بالضرورة إلى دستور خاص، في سنة جديدة، وقرآن آخر. مما دعا إلى إحداث تحريف معلن في معنى كلمة (السنّة) التي خسرت اسمها القرآني الصريح، فلم تعد هي (سنة الله) كما سمّاها القرآن، بل أصبحت هي سنة رسوله المستمدة من أحاديث نبوية قابلة للتحريف إلى ما لانهاية. وفي أعقابْ هذه الغارة الفقهية، كانت كلمة السنة تعني القبول بمبدأ الحق الإلهي المقدس في الحكم، ومبايعة يزيد بن معاوية لولاية العهد.

وطوال الأربعة عشر قرناً التالية، كانت هذا السنة الجديدة، تحتضن نظم الإقطاع في حكومات عائلية تتوارث السلطة بموجب الحق الإلهي المقدس في الحكم. وكان علماء السنة قد محوا من ذاكرة الناس أن الرسول شخصياً لا يعترف بمثل هذا الحق، وأنه مات من دون أن يورث السلطة لأحد، وأن مخالفة هذه السنة الصريحة، لا يكون اسمها (علماً)، إلا من باب السخرية بالعلم.

إن عالم السنة الذي بايع الرسول في حجة الوداع على نص القرآن وحده، عاد يبايع الأسر الحاكمة على نص الحديث. وإذا لم تكن هذه البداية الرديئة، خيانة عارية الرأس، فلا بد من أنها خيانة تغطي رأسها بمنديل».

* * *

صدق الصادق النيهوم. فهذه خيانة إن لم تكن عارية الرأس فهي تغطي رأسها بمنديل وأقول بورقة توت. وطوال مئات الأعوام بدءاً بالإمبراطورية الأموية مروراً بالإمبراطورية العباسية وما تفرع عنها من دويلات، ثم الإمبراطورية العثمانية وما تلاها من دويلات عربية وإسلامية التي نعيش تحت سقفها ـ إن وجد ـ المليء بالثقوب، رعايا لا مواطنين حتى لا نقول عبيداً، والتحالف الشيطاني بين المافيا السياسية والمافيا الدينية يزداد تلاحماً وسيطرة، والنفق المظلم الذي نعيش داخله يزداد تسربلاً بالظلام، والناس تهرب من أوطانها وتهجرها حتى لا تموت من الجوع أو المرض أو داخل الزنازين العفنة أو من العذاب وطرقه التي لم تخطر حتى لشياطين الجن.

التفرقة بين البشر دستور التحالف

البشر انتقلوا من الحياة الحيوانية إلى الحياة الإنسانية بنفخة من روح الله ﴿**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون**﴾ (سورة السجدة الآيات ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩). أي أن كل إنسان على هذه الأرض فيه من روح الله بصرف النظر عن جنسه، ذكراً كان أو أنثى، وعن عائلته أو قبيلته أو قوميته أو دينه. أي أن الناس على هذا الكوكب سواسية لا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح، أي تقوى الله، أو العمل الطالح وهو طاعة الشيطان ﴿**فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها**﴾ (سورة الشمس).

﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ (سورة

الحجرات الآية ١٣)، وغيرها الكثير في كتاب الله التي تدل على أن الناس سواسية وأن المؤمن الذي يتقي الله ويعمل الصالحات سيكون مكرماً من الله. وبما أن الإنسان، أي إنسان، فيه من روح الله فإنه والحالة هذه مقدس، وعليه أن يرتقي إلى هذه القدسية بالتحلي بمكارم الأخلاق فيعمل الصالحات ليحترم ما فيه من قدسية، فلا يهين نفسه المقدسة (يظلمها) ولا يقتلها ولا يهين (يظلم) أو يقتل أخاه الإنسان المقدس. وعليه أن لا ينسى روح الله فيه **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون﴾** (سورة الحشر الآيات ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١). أي أن هذا الإنسان المقدس الذي يتحلى بمكارم الأخلاق ستكون الجنة نزله في الدنيا والأخرة، أما الذي يعمل ضد ذلك فمأواه جهنم وساءت مصيراً. وأمثال هؤلاء ينزع الرحمن منهم نفخة روحه فيتحولون إلى شياطين من الإنس **﴿قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس﴾** (سورة الناس).

الكافر والظالم للناس ولنفسه كالشيطان وأضل سبيلاً. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإن هناك أكثر من خمسين آية في كتاب الله تبشرهم بالفردوس خالدين فيه أبداً. لذا فالحلف بين الشيطان وبين هذه الفئة من الناس قائم بتصنيف من الله عندما وعد بجمعهم في جحيم واحد في الآخرة بعدما قرروا الاجتماع على أهداف واحدة في الحياة الدنيا.

والإنسان مقدس أيضاً لأن الله ــ تبارك وتعالى ـ جعله خليفته في الأرض. أي أنه يقوم مقام الله على هذا الكوكب. وحثه ـ جلت قدرته ـ على تعميرها والنظر فيها وفي نفسه ليتعلم كيف بدأ الله

الخلق ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾ (سورة العنكبوت الآية ٢٠)، ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾ (سورة الملك الآية ١٥). والله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض، ولكن بشرط تعميرها وليس تدميرها، وهو جلّ جلاله الرقيب عليه يحصي عليه حتى وسوسات نفسه ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾ (سورة ق، الآيتان ١٦ ـ ١٧). وأرسل إليه الرسل والأنبياء هداية إلى الخير وإنذاراً من الشر مبشرين ومنذرين فقط، وليسوا وكلاء عن الله عليه، لا مكرهين ولا جبارين ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ (سورة النحل الآية ٣٦).

إن الإنسان عليه واجب تعمير الأرض وازدهارها، وأن يفشي فيها السلام ـ فعلاً لا قولاً يردد ـ وعلى أساس المساواة ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤). على هذا الإنسان، أن يفشي بهذه المواصفات الحرية ﴿**وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..**﴾ (سورة الكهف الآية ٢٩). هذا الإنسان وبهذه المواصفات سيورثه الله الأرض وما عليها ومن عليها ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (سورة الأنبياء الآيات ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧).

أما من يعبث ويعيث فيها فساداً وقتالاً وحرباً وتكميماً للأفواه وسلباً للحريات وإكراهاً للناس على عقيدة أو ديانة، فإنه يتحول من إنسان إلى شيطان سيهلكه الله **﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾** (سورة الإسراء، الآية ١٧).

﴿وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ (سورة الكهف الآية ٥٩)، والآيات في كتاب الله التي تمجد الصلاح والفلاح وتذم الظلم والفساد والطلاح كثيرة كثيرة. كما أن آيات حرية الإنسان وعدم إكراهه من قبل الأنبياء والرسل ـ ناهيك عن غيرهم من البشر ـ كثيرة **﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾** (سورة ق الآية ٤٥). **﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين، ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾** (سورة الأنعام الآيتان ١٠٦ ـ ١٠٧). **﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾** (سورة فاطر الآية ٢٤). **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ..﴾** (سورة البقرة الآية ٢٥٦)، وغيرها الكثير الكثير الذي يصب في نفس المعنى.

من كل ذلك يتبين أن الإنسان الذي كرّمه الله فنفخ فيه من روحه وجعله خليفته في الأرض وأمر الملائكة جميعاً أن تسجد له، وأرسل الأنبياء والنذر والرسل له، ومنحه كامل الحرية في الإيمان أو الكفر، ليؤكد رسالته إليه، رسالة الإسلام، أي الاستسلام والتسليم لله وحده. ومن يفعل ذلك، أي الاستسلام لله، يسلم في الدنيا والآخرة. أما من يفعل ضد ذلك فهو شيطان من الإنس، ليس خليفة لله في الأرض إلى أن يتوب ويستغفر، ويعود إلى زمرة الناس من غير إكراه. فالله سبحانه وتعالى لم يكره شياطين الجن والإنس

وأطلق لهم حرية الغواية إلى يوم الدين. والإنسان له مطلق الحرية في الإيمان أو الكفر ليكون خليفة الله في الأرض يعمرها ويحسن إلى من عليها أو عدواً لله يدمرها ويسيء إليها وإلى من عليها. الله تبارك وتعالى نهى عن التعرض للمعارضين ولو بالكلام **﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدْواً بغير علم، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾** (سورة الأنعام الآية ١٠٨).

إن المثل التجريدي عن الشجرة التي حرمها الله على آدم وحواء في الجنة، وكان باستطاعته إخفاؤها عن ناظريهما وبالتالي درء السوء عنهما ولكنه كرم الإنسان بالإرادة والاختيار وحرية التفكير والقرار، يعلمنا أن الإنسان مخلوقاً حراً قوياً بقراراته ووجوده، قادراً على قهر الشيطان المقنع والمعروف بمعصية أوامر الخالق. ودخل الشيطان ليذيق هذا الإنسان شجرة السوء التي انتقلت فيما بعد إلى وجه الأرض لتزهر السوء والفحشاء والظلم والمفاسد بكل وجوهها. فبعد أن ذاقها الإنسان مرة في الجنة التي طُرد منها عاد ليذوقها ويستلذ بها مرات ومرات على وجه الأرض، مستعيناً بالشيطان ومدفوعاً منه بالوقت نفسه. ومَن أفضل من الطغاة لنشر أشجار القهر والفساد؟

أعود إلى التذكير بأن عمل الصالحات، أي تقوى الله، هو أساس الفلاح والصلاح والتنعم بنعيم الله في الدنيا والآخرة. فالله سبحانه وتعالى عندما يبشر المؤمنين، يقرنهم بعمل الصالحات. وليس هناك تبشير بالنعيم في الدنيا والآخرة في كتاب الله إلا بعمل الصالحات **﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً، يكفِّر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾** (سورة التغابن الآية ٩).

الفصل الثاني

الظلمُ أهلك مجتمعاتنا

ضرورة تحييد المافيات الدينية وتفكيك المافيات السياسية

المافيا السياسية تقوم بالسيطرة على الناس واستغلالهم وسوقهم كالعبيد لتحقيق طموحات الطاغية أو رئيس العائلة المافياوية، وذلك بنشر جرثومة الخوف المعْدية. أما المافيا الدينية فتقوم بالسيطرة على الناس وتطويعهم للمتاجرة بهم مع المافيات السياسية، وذلك بإقناعهم أنهم ورثة الأنبياء والرسل وأن مفاتيح السعادة التي افتقدوها في الحياة الدنيا التي ستكون لهم خالصة في الحياة الدائمة إذا أطاعوا واتبعوا تعاليمهم (راجع الفصل الأخير من الكتاب الذي يبيّن كيف تتمكن المافيات الدينية من تطويع الناس وتحولهم إلى مجرمين وقتلة باسم الجهاد في سبيل الله).

التحالف بين الاثنين قائم منذ بعث الله النذر والرسل والأنبياء وإلى

يومنا هذا. زعيم المافيا السياسية إله من دون الله، يفقر ويغني.. يحيي ويعذب ويميت في هذه الدنيا بلا حساب، أما زعيم المافيا الدينية فهو إله آخر عصيانه هو عصيان لله ومن يخالفه فقد خالف الله.. يعذب في القبر.. يعذب في نار جهنم خالداً فيها ويحرم من الجنة.

نحن في كل تاريخنا ومنذ معاوية بن أبي سفيان و إلى يومنا هذا بين فكّي كماشة: تحالف مافيا السياسية مع مافيا الدين، ورضخنا وقبلنا بأن يكون مال الله وأرض الله ملكاً للطغاة يمنحون من يشاؤون ويحرمون من يشاؤون فأصبحنا مرتدّين إلى وضع هو أدنى من الجاهلية. والدين الذي تبشر به مافيا الأديان والذي اقتنعنا به أو أكرهنا عليه أو وافقنا عليه أو ورثناه تم إفراغه من معانيه وأهدافه وأصبح الدين هو الشعائر، من صلاة وصوم وحج وعمرة ودعاء. أما الجوهر وهو الغاية من التوحيد والرضوخ لإله واحد في السماء لا على الأرض، فإننا هجرناه أو ألغيناه عندما قبلنا بالواقع المفروض من إلغاء للمساواة ومصادرة للحرية. هناك من رفض هذا الواقع فرحمه الله بالهجرة إلى بلد يؤمن بالمساواة فأنقذ نفسه المقدسة من الظلم: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾** (سورة النساء الآية ٩٧). إن أساس الدين هو عبادة الخالق (طاعته) والإحسان إلى البشر وكل شيء آخر خلقه الله.

المسلمون الحقيقيون المؤمنون بإله واحد لا يشركون مع الله أحداً أياً كان مقامه أو مكانته ويعملون الصالحات ويؤمنون بالحرية والمساواة بين البشر من دون تمييز لأي سبب كان. الفرق هو بالعمل الصالح.

وهؤلاء بدأ ظهورهم في غرب أوروبا وكندا واليابان، أما العرب وغيرهم من المسلمين وغير المسلمين الذين لم يكفروا بالطغاة فقد أسلموا زمام أمرهم لبشر مثلهم وأصبحوا بذلك في ذيل القائمة الإنسانية، يخربون أرضهم ويقتلون إخوانهم، وسيذوقون العذابات الأليمة لعلهم يرجعون إلى رسالة السماء الأخيرة التي تكمل كل الرسالات وتنقيها من عبث تحالف المافيا السياسية مع المافيا الدينية.

لقد تعهّد الله جلت قدرته على حفظ القرآن من العبث **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** (سورة الحجر الآية ٩) وكلام الله منتصر لا محالة. رجال الدين جعلوه كتاباً يقرأ من دون تدبر فحجّروه واحتفظوا بقواعد الإملاء التي كتب بها قبل أكثر من ألف سنة. أما قواعد الإملاء المعروفة والسائدة في العالم الإسلامي كله، فإنه محظور كتابته بها حتى يكون تفسيره وتأويله حكراً عليهم وحسب أهوائهم ومصالحهم. ووصل الأمر بهم بأن زايدوا على الله ـ تعالى الله ـ فالله يقول إنه نزل القرآن وهو الحفيظ سبحانه الذي يحفظه وواجبنا نحن ليس الحفظ وإنما تدبر آياته والتفكر فيها. والمافيا الدينية تعكس الآية كأنها تقول بأنّ الله هو الذي يتدبر ويتفكر ونحن الذين نحفظ ـ تعالى الله عن رجسهم ـ لم يكتفوا بذلك بل وضعوا مكان كتاب الله كتاباً آخر أطلقوا عليه السنة النبوية. فكتاب الله، القرآن، عدو للمافيا الدينية التي يطلق الله عليها (الجبت)، وعدو السياسة الاستبدادية التي يطلق عليها (الطاغوت) **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾** (سورة النساء الآية ٥١).

إن الإسلام الحقيقي بدأ يظهر في غرب أوروبا عبر تطبيق بعض أوامره ومنها التي تحثّ على التعايش السلمي تحت مظلة العدل

والمساواة والحرية. إن الاتحاد الأوروبي هو الإشارة إلى أن منطق القرآن ومنطق التاريخ هما اللذان سينتشران في النهاية. وأن الكيانات التي تحكمها الشعوب على هذا الأساس ستعم العالم أجمع ولن تقوم الحروب. فمن منا يريد أن يَقتل أو يُقتل، أن يدمِّر أو يدمَّر؟ ويمكننا الاستفادة والاتعاظ من الدراسات التي تقول إن أوروبا الغربية بعد أن تخلصت من مافيا الطغيان بنهاية الحرب العالمية الثانية المتمثلة بالنازية العنصرية في ألمانيا والفاشية الظالمة في إيطاليا وغيرها من الديكتاتوريات، أصبحت دولها تحكم من الشعوب التي انتظمت صغيرها وكبيرها في الاتحاد الأوروبي. أوروبا الغربية هذه في عمر الحضارة الإنسانية التي تمتد حوالى ستة آلاف سنة، كانت تحارب بعضها البعض على مدى العصور والأزمان حروباً متصلة تتخللها فترات قصيرة للغاية، وكانت في كل مرة تلعق جراحها وتستعد لحرب جديدة تحركها المافيات أي المصالح الفردية الضيقة.

ولأول مرة في التاريخ يمر أكثر من نصف قرن على أوروبا الغربية بدون أن تحارب بعضها البعض، ذلك أنها تخلصت من آخر مافيتين وأمّنت المساواة التي هي جوهر ولب الرسالات السماوية فصارت الشعوب تحكم بعد أن كانت تساق إلى الحروب أو السلخانات الحربية على يد مافيا السياسية ومافيا الأديان وزعمائهما الذين كانوا يلهون بدماء الشعوب وثرواتها بينما هم آمنون في القصور. وتغيرت الحال وأصبح الأمر في يد الشعوب، فلا قتلى ولا دمار ولا حروب ولكن حرية وسلام وازدهار.

إن القرآن الكريم أعطانا أمثلة عن هلاك الأمم الظالمة مثل قوم نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون وغيرهم. ولقد قرأنا في التاريخ، لا بل ورأينا هلاك الأمم الظالمة في آسيا وأوروبا وأفريقيا وأميركا الشمالية

والجنوبية مثلما هلك الأمويون والعباسيون والأتراك والاتحاد السوفياتي وغيرهم. فالظلم هالك لا محالة وقد تنتهي الألفية الثالثة بانتشار العدالة والمساواة والحرية في العالم أجمع. عندها سيتحقق علم الله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والذي جهلت الملائكة عظم تكريم الله له بالعلم وبما أراد له من رفعة في السماء والأرض، فاعترضت الملائكة على استخلاف هذا المخلوق ولم يروا سوى مساوئه، فرد الله إرادته إلى علمه سبحانه وذكّر ملائكته بعلمهم المحدود بإرادته. فرضيت الملائكة بإرادة خالقها العليم إلا إبليس الذي أبى واستكبر فطرد من رحمة ربه عقاباً له. إبليس الذي رفض السجود لنا قرر طردنا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، كي يجرنا معه إلى الجحيم الذي وعد به. ومن أكثر من الطغاة في الأرض أفضل ولاءً للشياطين؟ ولقد زين ذلك اللعين الفاحشة والجرائم والتسلط لأوليائه، فجرهم إلى الطغيان باسم الدين المزيف والحكم الباطل. ولقد حذرنا الله من أهداف الشيطان وأحقاده كي لا نواليه هو وأتباعه ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً**﴾ (سورة الكهف الآية ٥٠).

أضف إلى ذلك الآيات التجريدية التي تتحدث عن خلقنا ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون،**

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة البقرة الآيات ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤).

إن الله يعلم أن الإنسان سيفسد ويقتل ويدمر، ولكنه في النهاية سينشر السلام ويقضي على الفقر والمرض وكل أشكال العصبيات والتمييز وسيتمكن من فعل كل شيء وأي شيء بحدود ما علمه الله والذي لم يشأ سبحانه أن يعطي أحداً القدرة على خلق الحياة وبث الروح في أي شيء كان **﴿ويسئلونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** (سورة الإسراء الآية ٨٥).

الإنسانية هي العولمة الحقيقية

الإنسان هو خليفة الله في الأرض، والإنسان هو جزء من الله، وعندما اختاره من بين المخلوقات كلها على هذه الأرض ليكون خليفته نفخ فيه من روحه ليعطيه من صفاته كلها، لذلك فالإنسان مخلوق خالق، أي أنه وبالصفات الإلهية الموجودة فيه سيتمكن من بسط السلام والأمان للإنسانية والبيئة، وسيعالج الجوع والمرض والتلوث والتمكن من الحياة مئات أو حتى آلاف السنين. الله يقول في كتابه الكريم في سورة يونس الآية ٢٤: **﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾**.

وسيجد الإنسان نفسه عندما تتفجر قدراته الخلاقة محتاجاً إلى سن

القوانين التي تنظم النسل، وليس ببعيد في المستقبل أن يصل الأمر أن تستنسخ مدينة بكاملها من عشرة ملايين إنساناً واحداً فقط كلما احتاجت إلى ذلك بوفاة أحد سكانها بعد أن عاش ألف وخمسمائة عام مثلاً، ليصبح هذا الابن ابن المدينة كلها، مواطن العالم كله الذي سيصبح مجتمعاً واحداً. بعبارة أخرى سيستطيع الإنسان التحكم بامتداده الأفقي (العددي على الأرض) والعمودي (في الفضاء وعلى الكواكب الأخرى) عبر رؤية واضحة وبرمجة تقوده إلى ما يطلبه في الوجود. أي أن الإنسان سيتحكم بوجوده كيفما شاء في حدود ما علمه الله وبلا حدود جغرافية. ولكي تكتمل قدرات الإنسان الخلاقة يجب أن يتوفر السلام المفقود الذي لن يحل ويعم إلا بـ:

أولاً: المساواة بين الناس

يجب أن ينص في دساتير كل الدول على مبدأ المساواة بين البشر وأن تلزم الأمم المتحدة جميع الدول العنصرية الاستبدادية بوضع البرامج التثقيفية التي تساعد الشعوب على الاقتناع والعمل بهذا المبدأ الذي يقرر أن الإنسان لا يتميز عن أخيه الإنسان بعائلته ولا بجنسه ولا بلونه ولا بدينه أو عقيدته. الإنسان يتميز فقط بعمله الصالح لنفسه ولمجتمعه وللإنسانية. والتميز هو نتاج الطموحات الفردية للوصول للهدف بالوسائل التي تعارف وسيتعارف المجتمع الإنساني كله على أنها مشروعة ومثمرة في آن.

المشكلة أو المعضلة الإنسانية هي إيمان كل شعوب الأرض في الماضي والزمن الحالي بالعصبية بشكل أو بآخر، ويغذي هذا الإيمان (المافيات) الدينية: اليهودية والمسيحية والإسلامية وغيرها من الديانات التوحيدية وغير التوحيدية، فهذه (المافيا) هي بالفعل

عائلات مافياوية تعيش وتنمو وتزدهر من تغذية هذه القناعات المتعصبة وترسيخها، وتستعين على ذلك بالسلطات المستبدة التي تلتقي معها في الأهداف.

الديانات السماوية كلها جوهرها واحد وهي عملة واحدة ذات وجهين، وجه يقول إن الإله واحد، هو الذي خلقنا وخلق هذا الكون، والوجه الآخر يقول إننا كلنا سواسية ليس لأحد فضل على آخر إلا بالعمل الصالح. الإنسان الذي يتميز عن بقية الناس في أي مجتمع من المجتمعات بسبب منصبه الديني أو الدنيوي أو بسبب نسبه أو أي معطيات أخرى مهما عظمت، ليس إنساناً بل إله، فالمتميز عن غيره بالكمال والتعالي والمحاسبة هو الله فقط. وعندما يحدث هذا التمييز الإنساني يكون المجتمع قد فقد الإيمان الصحيح بالله وأصبح خاضعاً لآلهة من جنسه مقنعة بألقاب شتى لترسخ الحصانة المكتسبة بالقوة والإكراه أو التخويف من غضب الله وعذاب القبر والآخرة وغير ذلك من الشعوذات التي ترسخت لتصبح جزءاً من الدين محرماً مناقشتها تحت عنوان العقاب الإلهي. الآلهة الكبيرة كالملك أو الرئيس في المجتمعات المتخلفة تخدمها آلهة صغيرة تستفيد منها وتحميها، وهؤلاء هم أفراد العائلة المافياوية المتسلطة التي تستولي على موارد الدولة والمال العام وتعامل الناس معاملة العبيد مستعينة بعائلة أخرى مافياوية دينية تمنحها الشرعية كي تطغى باسم الدين، والدين منها براء. ومن المحزن أنّا نجد لكل عقيدة أو دين مافياتها الخاصة المتسلطة على البلاد والعباد. إن هذه المافيات استطاعت خنق الحريات وبالتالي قتلت الإبداع والتطور. قتلت الحرية والصدق والكرامة. وبكلمة أخرى قتلت إنسانية الأفراد فأصبحوا بظلمها أدوات مبرمجة توجهها حسب بوصلتها المشؤومة. وعندما تقمع الكلمة يكبح الفكر وتشل الحركة. ولو أرادنا الله

أدوات صامتة مطيعة بدون تبصر وتفكر لخلقنا حيوانات مبرمجة بدون عقول وألسنة وأرجل وأيدٍ ﴿**إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾ (سورة الأنفال الآية ٢٢).

إننا مخلوقات حرة والدين هو الكرامة التي تعبر عن الذات الخلاقة في حدود لا تسيء للآخرين بالفعل أو القول ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء**﴾ (سورة إبراهيم الآيات ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧).

وإذا كان العرب قد توقفوا عن وأد البنات ابتغاء مرضاة الله فعليهم أن يتوقفوا الآن عن وأد الحرية (بنات الأفكار). فإن كره الإنسان لأمر ما لا يحلل له محاربته أو وأده. في بلاد العرب والمسلمين تنوعت الضحايا وتعددت وبقي القتلة بدوافعهم الغريزية وأهوائهم واحداً. وطالما بقينا كل متشبث بآرائه لا يقبل الآخر كما هو ولا يفتح قلبه وعقله لاستيعاب اخوة له في الإنسانية سنظل إلى الوراء نسير وإلى ما لا نهاية.

ثانياً: معضلتان للديموقراطية يجب النظر فيهما والعمل على حلهما

إن مفتاح الديموقراطية الوحيد هو تقبل ما تكره في الآخرين والانفتاح عليهم. فإن الجمع بين البشر والتشاور هو أمر مطلوب في الأرض وفي السماء، والأحادية مرفوضة في شتى الأحوال. إن

المساواة والتعايش بين الناس هما إرادة الرب الإله الذي خلقنا ونفخ فينا نحن البشر من روحه. هذه النفخة هي القدرة أو العقل المفكر المدبر الخلاق مع القلب الودود الرحيم. أي أننا آلهة صغار وليس بيننا إله أكبر غير الذي خلقنا، وأن أفضلنا عند الرب العظيم هو الذي يستعمل العقل والقدرة الناتجة منه في الخير لنفسه ومجتمعه وبيئته، ويشارك الآخرين في أحزانهم وأفراحهم (الجانب الروحي). لقد قطعت الدول الديموقراطية الحقيقية في الغرب والشرق خطوات في اتجاه تطبيق المساواة، الأمر الذي نتج منه كخطوة أولى الوصول إلى السلطة بأصوات الناس وليس بالقوة القاهرة المستبدة.

لكن تظل الدول الديموقراطية مفتقرة إلى الرؤية الصحيحة لأسباب عدة، أهمها أن معظم وسائل الإعلام التي يكوّن الفرد عن طريقها رأيه في الشأن العام الداخلي أو الخارجي ليست مستقلة، بل يسيطر عليها أو يملكها أفراد يوجهونها للترويج لمصالحهم في الدرجة الأولى ثم مصلحة المجتمع في الدرجة الثانية. لذلك فالقرارات المتخذة في أغلب المجتمعات الديموقراطية تخدم في الدرجة الأولى مصالح مالكي وسائل الإعلام من أفراد وشركات، وهذه هي معضلة الديموقراطية في الوقت الراهن. وبعبارة أخرى فإن الرأي الذي يكوّن بحرية في الغرب مسيّر من قبل مصالح فردية توجهه كيفما شاءت لتتحكم بطريقة مبطنة بالمجتمعات. هذه مافيا جديدة إذا لم يتم تفكيكها أو تحييدها ستصبح في المستقبل مافيا مستبدة ديكتاتورية باسم الحرية!

المعضلة الأخرى للديموقراطية الغربية الآن تتمثل في عصبيتها لدولها. فهي لا تؤمن بالمساواة بينها وبين الشعوب الأخرى المتخلفة المحكومة بالاستبداد والفساد في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، لا بل إنها

تتعاون مع الطغاة والديكتاتوريات في هذه الدول ضد الشعوب المستعبدة. هذا معناه أن الإنسان الديموقراطي بوجهين: وجه حسن وجميل ورحيم في مجتمعه والمجتمعات المماثلة، ووجه قبيح انتهازي وأناني وقاس في المجتمعات الضعيفة المتخلفة المحكومة من المافيات. وكأنّ هذا الإنسان نفسه يتحوّل إلى شيطان حسب المكان والغاية.

الفصل الثالث

الأمم المتحدة
والدور الذي عليها أن تلعبه

قبل ذكر الخطوات التي على الأمم المتحدة اتخاذها أو بالأصح الدور الذي يجب على الدول الديموقراطية الكبرى والغنية أن تلعبه لتحويل العالم إلى عالم تعمه الحرية والديموقراطية وبالتالي السلام والأمان وتبادل المصالح بصورة عادلة، فإن هناك أم المشاكل العالمية وهي مشكلة تصارع المافيات الدينية الثلاث على أرض فلسطين، وبخاصة مدينة القدس، الذي وصل ذروته في النزاع اليهودي ـ الإسلامي على أرض فلسطين.

إن تجريد هاتين المافيتين من أسلحتهما في هذا الصراع سيتم ـ في رأيي ـ بإلغاء أسباب هذا الصراع وهي التحكم بالأرض المقدسة للأديان الثلاثة وهي أرض فلسطين وبالأخص مدينة القدس.

قد يكون نقل المقر الرئيسي للأمم المتحدة من مدينة نيويورك إلى مدينة القدس، وجعل المدينة عاصمة العالم الديموقراطي الحر، أهم وأجدى الخطوات الرئيسة لحل أخطر المشاكل العالمية.

أولاً: التمثيل في الأمم المتحدة

الأمم المتحدة هي المنظمة الدولية التي تمثل دول العالم (وليس شعوب العالم لأن أغلبية الدول لا تمثل شعوبها) ومجلس الأمن هو اليد القوية والأداة التنفيذية للأمم المتحدة لفض المنازعات وتحقيق أو فرض السلام. الجمعية العامة للأمم المتحدة تأثيرها معنوي أكثر مما هو فعلي، ومجلس الأمن هو الذي يقود المنظمة الدولية ووكالاتها. وإذا أردنا أن نشّبه الأمم المتحدة بأية دولة فإن التشبيه الذي ينطبق عليها هو أنه لا فرق بينها وبين أية دولة شمولية استبدادية. والجمعية العامة للأمم المتحدة لا فرق بينها وبين المجالس النيابية في الدول الاستبدادية تأتمر بأمر الديكتاتور والطاغية المستبد مجلس الأمن. مجلس الأمن يضم خمس دول دائمة العضوية تملك أي منها تعطيل أي حل يتوصل إليه المجتمع الدولي بمجرد رفضها له، وحق الرفض أو النقض هذا يدعى (الفيتو). ومن ناحية أخرى فالجمعية العامة للأمم المتحدة تمثل الدول بالتساوي بصرف النظر عن حجمها، غناها أو فقرها، ديموقراطيتها أو شموليتها. هذه المساواة لا تؤثر في واقع الأمر لأن مجلس الأمن محكوم بالطغيان والاستبداد وهو الذي يحكم بالتالي الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ثانياً: ما هو الحل؟

حل هذه المشكلة الكبرى - في رأيي - هو في تعديل ميثاق الأمم المتحدة لتصبح ديموقراطية تمثل شعوب العالم فعلاً. وحتى تكون الدولة الخمس الكبرى التي في يدها مصير هذه المنظمة والعالم

صادقة مع نفسها وشعوبها وشعوب الأرض من أنها ديموقراطية ينبغي أن ينص في الميثاق على:

١ ـ إلغاء حق الفيتو مع بقاء سلطات مجلس الأمن كما هي.

٢ ـ لا يحق لأية دولة أن تكون عضواً كاملاً في الأمم المتحدة ووكالاتها ما لم تكن ديموقراطية إنسانية وليست دينية أو عنصرية، وتقبل الدول غير الديموقراطية كأعضاء مراقبين لا يحق لهم التصويت أو الترشيح لمناصب المنظمة ووكالاتها، بل لهم فقط الحق في الاستفادة من خدمات وكالاتها التي تقدم للشعوب وليس الحكومات.

٣ ـ يحتفظ الأعضاء الخمسة الدائمون والذين كان لهم حق الفيتو بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن، وتعطى الصين مهلة زمنية لتتحول إلى ديموقراطية وإلا فقدت عضويتها الدائمة في مجلس الأمن لتصبح عضواً مراقباً في المنظمة.

٤ ـ تحديد أعضاء مجلس الأمن بأحد عشر عضواً منهم خمسة دائمون، وتختار الجمعية العامة ستة آخرين شرط أن يتوفر في كل دولة شرط مساهمتها الفعلية في التقدم الإنساني الذي يعود بالفائدة للإنسان عامة، وللبيئة، وتقديمها المساعدات الإنسانية للشعوب الفقيرة.

٥ ـ حرمان الدول غير الديموقراطية من الاشتراك في النشاطات والمنافسات الدولية والقارية الرياضية.

٦ ـ حرمان أي رئيس دولة غير ديموقراطية من الوقوف على منبر

الأمم المتحدة لمخاطبة ممثلي شعوب العالم.

٧ ـ معاقبة الأشخاص الذين يستغلون الشعوب ويسرقون أموالها ليودعوها في الدول الديموقراطية. إن السلطات التشريعية في هذه الدول الديموقراطية مطالبة أن تحرّم على بنوكها أن تكون ملاذاً للأموال التي نهبتها المافيات الدينية والطغيانية وأفرادها ومن يتبعهم. وتحرّم عليهم أيضاً كل الحقوق التي قد يكتسبها أي منهم كزائر أو كمقيم أو مواطن. وإذا عدنا إلى واقعنا الحالي وجدنا أن طغاة وسارقي أموال الشعوب الفقيرة يسرحون ويمرحون في بلاد الله الواسعة بينما شعوبهم مكبلة، فقيرة وجائعة في سجن كبير يسمونه الوطن. هؤلاء الطغاة يحتمون بالقانون الدولي والسيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلدانهم ويتحججون بالدين أو التقاليد لتبرير تصرفاتهم، ويدفعون الملايين لشركات العلاقات العامة في الدول الديموقراطية لتحسين صورتهم، ويرشون الساسة والإعلاميين الفاسدين للسكوت عن جرائمهم في حق شعوبهم. هؤلاء كلهم يتمتعون بحماية النظام العالمي تحت مظلة الأمم المتحدة، وهذا ما ينبغي تغييره.

٨ ـ إنشاء وكالة دولية تبحث عن الأموال والثروات المنهوبة والمودعة أو المستثمرة في الدول الديموقراطية الغنية ومصادرة هذه الأموال وإعادة صرفها على الشعوب المنهوبة منها في التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية. على أن يكون لهذه الوكالة من السلطات ما يمكنها من البحث والتنقيب عن هذه الأموال، وأن تتعهد الدول المعنية بعدم وضع العراقيل أمام هذه الوكالة لتأدية عملها على أحسن وجه.

الفصل الرابع

المال والإنسان

النشاط الإنساني بكل أشكاله الخيرة والشريرة يتمحور حول المال والثروة. فمن أجل المال والثروة يتم الصراع على السلطة أيّاً كان نوعها. قمة السلطة هي التحكم في مال وثروة المجتمع، وبالتالي فالسلطة قادرة على توجيه المجتمع الوجهة التي تريد. الصراع الإنساني الدموي منذ فجر التاريخ وحتى اليوم في بعض أجزاء هذا العالم يتمحور حول التحكم في الثروة والمال العام. بعض المجتمعات الإنسانية وصلت إلى تبادل التحكم في مال وثروة المجتمع لصالح المجتمع بإرادة غالبية المجتمع.

المال هو بالنسبة للإنسان، مسبب للمشاكل وميسر للحلول. وهو سبب الشقاء أو السعادة في الحياة وهو الذي يدفع الإنسان للعمل أو السرقة أو القتل للحصول عليه. إن المال هو الدافع المحرك

للتصرفات الإنسانية كلها بشكل مباشر أو غير مباشر، وكذلك للمجتمعات والدول، فهي تغزو بعضها بعضاً من أجل الثروة والمال.

الرسالات السماوية كان من أهدافها أن تتحكم الجماعة (الأغلبية في الديموقراطيات الحديثة) في الثروة والمال العام، وأن يكونا تحت رقابتها وإشرافها في أوجه إنفاقه.

الرسالات السماوية تطوى أو تُزوَّر أو تُهمش بعد موت الرسول ويعود الإنسان إلى ما كان عليه في الغابة. فيتحكم القوي في الضعيف ويستولي على الثروة والمال العام وينفقها كما يريد ويشتهي. وتتكون طبقات المجتمع الذي تصبح أغلبيته عبيداً للإله الأكبر في السلطة أو زعيم المافيا السياسية الذي يستولي على جهد المجتمع في مختلف المجالات، تساعده الزعامات الدينية أو المافيات الدينية التي استولت على الرسالات السماوية واحتكرتها وأخافت الأغلبية الجاهلة من العذاب والنار في الآخرة إذا عصت الحاكم، لأن طاعة الحاكم من طاعة الله. واختصر الدين في إقامة الشعائر من صلاة وصيام وحج أو غيرها من الشعائر في الأديان السماوية وغير السماوية.

العالم الديموقراطي فصل الدين عن الدولة، وهو مطالب الآن أن يدفع فاتورة احتلاله واستغلاله للدول المتخلفة المحكومة بالمافيات السياسية والدينية بأن يساعدها في إقامة مجتمعات ديموقراطية يكون الفرد فيها حراً في الاعتقاد والعمل. إذا لم يفعل ذلك، فإنه سوف يواجه مشكلتين رئيسيتين بدأ يعاني منهما هما:

١ ـ أنهار الهجرة الشرعية وغير الشرعية لمواطني الدول المتخلفة التي تحاول الخروج من جهنم أوطانها إلى جنة العالم الديموقراطي مع ما تسبب تلك الهجرة للمجتمعات الحرة من

مشكلات يستحيل حلها إلا بالقضاء على أسبابها وهي المافيات السياسية والدينية التي يجب التخلص منها والتوقف عن دعمها والتعامل معها كي يعيش الناس في جنة أوطانهم بشراً لهم كرامتهم الإنسانية دون قمع أو اضطهاد.

٢ ـ نمو التنظيمات الإرهابية الدينية وغير الدينية داخل المجتمعات الحرة من المهاجرين ذوي الرغبة بالانتقام من هذه المجتمعات بسبب دعم ساستها للمستبدين الذين يسهّلون لساسة الدول الديموقراطية استغلال ثروات الشعوب ومواردها الخام ويحصلون على الأسلحة وكافة متطلباتهم من تلك الدول الحرة لقمع شعوبهم وضمان بقائهم في السلطة. إن جو الحرية الذي تتمتع به الدول الحرة سوف يتأثر وستجد الحكومات الديموقراطية نفسها تواجه الإرهاب الداخل إلى مجتمعاتها مرافقاً للهجرة الشرعية وغير الشرعية من دول الطغيان والفساد بفرض القيود وتكبيل الحريات، وهذا ما بدأ المجتمع الأميركي يعاني منه بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

لا بد من مساعدة المجتمعات المتخلفة

الرسل والأنبياء بعثوا ليقولوا للناس إن الثروة هي ملك الله جعلها أمانة لدى الناس. فمن حصل عليها بجده واجتهاده وأنفقها على نفسه وعلى الفقراء والمساكين فهو عند الله من الصالحين. ومن سلبها من الناس بأية طريقة فهو من المجرمين الذين ستظهر ردود أفعالهم في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة وهو من الذين حق عليهم العذاب في الحياة الآخرة.

صعد الإنسان في مراتب الإنسانية إلى أن وصلت بعض مجتمعات

هذا العالم في غرب أوروبا وشمال أميركا وأقصى الشرق في اليابان وأستراليا إلى أن تضع أقدامها على أول الطريق الذي بشر به الأنبياء، وهو المساواة والحرية. وأن الأغلبية هي التي تحكم. والثروة والمال العام ملك الجميع تتصرف فيه الأغلبية لصالح المجتمع كله عبر ما يعرف بنظام الحكم الديموقراطي، وما يطلق عليه الرسل والأنبياء بـ (سلطة الجماعة).

الديموقراطية أو سلطة الجماعة معناها هو أن أفراد الجماعة متساوون. أي أن الفرد يساوي واحداً فقط وليس اثنين أو مليوناً. الذي يظن أنه أكثر من واحد حتى بأصغر وحدة عددية هو أصغر إله زائف. الناس كلهم واحد. أي سواسية متساوون والإله واحد والحساب على الأفعال الحسنة والسيئة يتم يوم الحساب في الحياة الآخرة. هذا هو جوهر كل الرسالات السماوية التي تهدف أن يتم توزيع الثروة والمال في المجتمع الإنساني على أساس العمل. أنت أحسن أو أفضل من غيرك بعملك الصالح فقط، فقط، فقط لا غير. إن أقصر طريق للوصول إلى الديموقراطية هو أن يكون (نظام الحكم الديموقراطي) مادة دراسية تُفرض في كل أوجه أو مراحل التعليم في الدول غير الديموقراطية عن طريق وكالة متخصصة جديدة تابعة للأمم المتحدة.

الدول الديموقراطية الغنية عليها مجتمعة مسؤولية تحويل الدول الشمولية إلى دول ديموقراطية بالتدريج وعبر وسائل عديدة أهمها تغيير البرامج التعليمية في كل المراحل الدراسية، كما أن عليها مسؤولية أخلاقية بعدم حماية الأنظمة الشمولية الفاسدة التي تنفق على أجهزة الأمن والجيوش وتهمل مواطنيها. ففي العالم المتخلف شعوب بائسة، جائعة. وأجهزة أمن وجيوش مرفهة شبعانة. مهمتها ليست حماية الوطن والمواطنين وحقوقهم وحرياتهم، وإنما حماية

زعيم العائلة المافياوية السياسية المتشبث بقمة السلطة التي لا ينخلع عنها إلاّ بالموت الطبيعي أو بالرصاص بتهمة الخيانة العظمى من قبل الجيش نفسه الذي سلحه هو لحمايته. وقد يحدث أن تنقسم البلاد في ظل عدم الاستقرار وتقوم حرب أهلية ضحيتها هم المواطنون.

ساسة الدول الديموقراطية يتبعون سياسة إجرامية بحق الشعوب المتخلفة. فهم في مقابل السكوت عن الممارسات اللاإنسانية التي تقوم بها المافيات الطغيانية والمافيات الدينية بحق الشعوب المتخلفة، يحصلون من تلك المافيات على امتيازات لاستغلال ثروات الشعوب وبأثمان زهيدة. ويكبّلونها ويستعبدونها بالديون وفوائدها التي يعرفون أن معظمها سيذهب إلى جيوب المافيات الطغيانية والدينية، ليستقر في النهاية في بنوك الدول الديموقراطية التي أقرضتها إياها.

الأدهى من ذلك أن الدول الديموقراطية لا تتورع في سبيل أن تستمر مصانع أسلحتها في العمل، من بيع مختلف أنواع الأسلحة للدول المتخلفة التي إما تستعملها لقمع شعوبها أو للتقاتل مع بعضها البعض. ولا ينتصر بالطبع إلاّ من تريده الدول الديموقراطية، لأنها تملك أن تعطي أو تمنع الأسلحة وقطع غيارها. لذلك فالجيوش في العالم المتخلف سرطان ينتشر في ذلك العالم فيشيع في مجتمعاتها الفساد والدمار تحت شعار حماية الوطن والمواطن.

الدول الديموقراطية إن أرادت أن تحمي استقرارها وحرية مواطنيها ونسيجها الاجتماعي من أنهار الهجرة الشرعية وغير الشرعية من أوطان التخلف. ومن الإرهاب الذي تشجع تصديره المافيات الطغيانية والمافيات الدينية، عليها أن تعمل على مساعدة هؤلاء للخروج من التخلف وجعل السجن الكبير الذي يعيشون فيه وطناً

حقيقياً يتمتعون فيه بالحرية والسلام. المافيات تتعامل مع شعوبها بوجه، وتتعامل مع ساسة الدول الديموقراطية بوجه آخر، فتعقد الصفقات وتقدم التنازلات على حساب الشعوب المطحونة. أي أنها تستغل الطرفين لتبقى في مقاعدها.

إن الدول الديموقراطية مدينة للشعوب المتخلفة بالكثير الذي عليها أن تدفعه. وفي رأس ذلك، أن تتعامل معها من منطلق إنساني، وإلاّ فإن الإرهاب والهجرة غير الشرعية لن يتوقفا. الشيء الوحيد الذي يوقف الإرهاب والعنف والهجرة غير الشرعية هو أن تجد الشعوب المتخلفة في أوطانها لقمة العيش وتحصل عليها بدون أن تفقد كرامتها الإنسانية وحريتها. أي بعبارة أخرى، على العالم المتحضر الكف عن دعم المافيات التي تؤمّن له مصالحه المؤقتة، وهو سيجد أن الإرهاب والهجرة غير الشرعية سيتوقفان عندما يجد الإنسان كرامته على تراب وطنه.

على الساسة في الدول الديموقراطية أن يعوا أن الإنسان في العالم المتخلف هو مسؤوليتهم الإنسانية الكبرى، وأن عليهم مساعدته للخروج من نفق الطغيان والاستغلال لتنعم الإنسانية بالسلام.

الفصل الخامس

من جرائم المافيات الدينية

١ ـ مصادرة كتاب الله؟

يقول الله في كتابه الكريم ﴿**كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾ (سورة ص الآية ٢٩).

المؤسسة الدينية، رجال الدين، الجامعات الدينية، المعاهد الدينية، المدارس الدينية.. لباس رجال الدين، حصانة رجال الدين لا بل وعصمة بعضهم.. بركات رجال الدين وغيره من جديد وقديم رجال الدين، وكلها مؤسسات وأشخاص لا يعترف بهم كتاب الله الذي أنزله على رسوله.. ليس لهم ذكر ولا سلطة في القرآن. حتى الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم لا تتعدى مهمتهم البلاغ ﴿**..ما على الرسول إلاّ البلاغ..**﴾ (سورة المائدة الآية ٩٩)، فهم ليسوا بأي حال من الأحوال وكلاء عن الله على الناس بالنصوص القرآنية العديدة ﴿**وما**

أنت عليهم بوكيل..﴾ (سورة الأنعام الآية ١٠٧)، ﴿**وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ (سورة هود الآية ٨٦)، ﴿**وما أنت عليهم بجبار..**﴾ (سورة ق الآية ٤٥)، وغيرها الكثير من الآيات التي تشدد على هذا المعنى.

القرآن إذاً الذي تعهد الله بحفظه من التحريف، هو عدوهم لا يقدرون على تغييره، فاخترعوا ـ كما أسلفنا في الفصل الأول ـ السنّة النبوية. وهي أقوال مفتريات على الرسول عليه الصلاة والسلام.

القرآن ليس كالكتب السماوية الأخرى، فالرسول محمد(ص) حدد سور القرآن وعدد آياته ورتبها من الفاتحة والبقرة إلى الفلق والناس، أي من أوله لآخره. وبدأ تسجيله قبل وفاته وانتهت كتابته ومراجعته في أواخر عهد عمر بن الخطاب أو أوائل عهد عثمان بن عفان وبقي مكتوباً بالطريقة الأولى التي كتب بها مع بعض الإضافات كالنقط التي لم تكن موجودة عند كتابة أول نسخة منه والتي سميت بـ (مصحف عثمان). ولا زالت المافيات الدينية الإسلامية تصرّ على عدم كتابته بقواعد الإملاء المتعارف عليها في كل البلاد الإسلامية، حتى لا يتمكن الإنسان العادي من قراءة القرآن وتدبره كما يقرأ ويتدبر أي نص مكتوب، وهو ـ أي القارئ ـ لو تمكن من فعل ذلك لاكتشف عدم وجود رجال دين في الدين لأننا كنا رجال دين نقف فرادى يوم الحساب بدون رجل دين. رجال الدين هؤلاء يروّجون، بمباركة ومساعدة المافيات السياسية، لفتح مدارس التحفيظ التي يتم فيها الحفظ عن طريق التلقين. مع أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه إنه هو الذي يحفظ كتابه. وهم بفعلهم هذا يزايدون على الله ـ تعالى سبحانه ـ وكأنهم يقولون في أنفسهم نحن الذين نحفظ القرآن، أما تدبره فهذا ليس من شأن الناس. نحن الذين نتدبر وعلى الناس أن تقبل وليس من حق أحد أن يتدبّر

آيات الله ويفسرها. والتفاسير المعتمدة مرت عليها مئات السنين، لا يمكن أن ينطبق ما جاء فيها ليس فقط على واقعنا الحالي بل على واقع الوقت الذي فسر فيه لأنه لم يتم في عهد الحرية القصير وشرع الجماعة النخبوية الأقصر من أبي بكر إلى اغتيال علي بن أبي طالب.. بعد ذلك كل ما تم قام على واقع هو الباطل بعينه لأنه تم في عهود بشر آلهة، من معاوية بن أبي سفيان إلى يومنا هذا، يستحيل في ظلهم قيام بناء صحيح على أساس باطل وفاسد.

٢ ـ أين خطب الجمعة للرسول (ص)؟

المافيا الدينية الإسلامية تعمدت إهمال تسجيل معظم خطب الجمعة التي قالها الرسول (ص) من على منبره في مسجده بالمدينة المنورة لقرابة أحد عشر عاماً، هي سنوات هجرته إليها وحتى وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام، لعدد كبير من الناس هم سكان المدينة المنورة من المسلمين.

التعمد هذا يدل على أن هذه الخطب لا بد أنها ـ وهي أكثر من خمسمائة خطبة ـ لا تخدم أغراض المافيات الدينية والطغيانية، وهي خطب لا تعتبر حديثاً فردياً معنعناً سجل بعد أكثر من مائة وخمسين عاماً على وفاته (ص)، بل هي خطب تعتبر من السيرة النبوية يصعب تحريفها أو الكذب فيها لأن الذين سمعوها لا يقلون عن مئات من الأشخاص، وهذا هو الفرق بين الحديث والسيرة. فالحديث النبوي المسجل هو بين شخصين، وأي حديث يتعارض مع القرآن أو يذكر أشياء تدخل في علم الغيب أو لم يرد ذكرها في القرآن، كالشفاعة وعذاب القبر وغيرها مما جاء من أساطير قيل إنها وردت على لسان رسول الله(ص) يجب إسقاطه وعدم الالتفات إليه. أين هذه الخطب التي تزيد على خمسمائة خطبة؟

٣ ـ إملاء مختلف لآيات القرآن

القواعد الإملائية التي يكتب بها القرآن هي قواعد استعملت قبل ألف عام لا يعرفها إلا من يطلقون على أنفسهم رجال دين. وهم يصرون على إبقاء هذا النهج وترسيخه بحجة صيانة القرآن من التحريف. وهم يعرفون أنه وبعد كتابة القرآن في عهد الخلافة الراشدة، قام الحجاج بن يوسف كما يقال بإضافة نقط على بعض الحروف لتمييزها عن الحروف المتشابهة في الشكل، وذلك لتسهيل القراءة والتدبر على الجميع، في ذلك الوقت الذي لم يكن قد عرف فيه رجال دين، لأنه وبالتأكيد يتفق معي (رجال الدين) أن الحجاج بن يوسف السفاح ليس رجل دين بأي حال من الأحوال.

وبمرور الزمن ونمو وتشعب المافيات الدينية التي تتحالف مع المتطلعين للسلطة من المافيات السياسية التي تعرف ويعرف الحلفاء من المافيات الدينية أن القرآن الكريم عدوهم ولا يعترف بالاثنين، تعمدوا إبقاء رسم القرآن كما كان منذ وضع الحجاج النقط على بعض حروفه وبنفس القواعد الإملائية التي تختلف عن القواعد الحالية المتعارف عليها، حتى يحتكروا تحفيظه وتفسيره وتأويله. وهذا تهميش للدستور الإنساني الذي أنزله الله على خاتم الأنبياء والرسل (ص).

توسعت العائلات المافياوية الدينية في وضع الأحاديث المفتراة على رسول الله بما يخدم أغراضهم وأغراض تحالفاتهم وكل بما لديهم فرحون، واطمأنوا على أنهم انتصروا على عدوهم (كتاب الله)!

٤ ـ تقديس نسل علي بن أبي طالب بحجة أنهم من آل البيت النبوي

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الحكيم ﴿**إن الله وملائكته**

يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليماً﴾ (سورة الأحزاب الآية ٥٥).

نرجو ونطلب إلى الله في صلواتنا الخمس يومياً أن يصلي ويبارك على سيدنا محمد وعلى سيدنا إبراهيم وعلى آلهما أجمعين ونحن أيضاً. المافيات الدينية، تقصد أو لا تقصد، تتعمد أو هي لاهية عندما نجد في كتبهم (التراث) وفي (المستحدثات) من القديم الجديد أن الله يصلي و(يسلم) على محمد وعلى آله.

هذا خطأ فادح وذنب كبير أن نقول أو حتى نفكر أن الله يسلم، أي يستسلم لعبد من عباده أو لأحد من نسله. وهذا الفحش السائد إذا كان غير متعمد فإنه يدل على جهل شديد. أما إذا كان متعمداً فإنه الكفر بعينه أن يستسلم الله لبشر. آل بيت رسول الله الذين نحن نصلي (ونسلم) ونبارك عليهم، والله (يصلي ويبارك فقط) عليهم ولا يسلم أو يستسلم لهم، هم هو عليه الصلاة والسلام والبركات وزوجاته وأولاده وبناته، فالله سبحانه وتعالى قد كرّمهم. ولذلك فنحن نصلي ونسلم ونبارك عليهم في صلواتنا. أما نسل علي من زواجه من بنت النبي (ص) الزهراء فاطمة رضي الله عنها فهؤلاء ليسوا آل البيت.. وإنهم بشر مثلنا فيهم الصالح والطالح والطاغية والفاسد والمفسد والمشرك، ولكن رجال الدين ومن أجل استغلال كلمة (آل البيت) حشروا علي بن أبي طالب في آل بيت رسول الله وركزوا على زوجته فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وتفرق المسلمون بين شيعة وسنة. فالمافيات الشيعية تحيط علياً بن أبي طالب ونسله بهالة من القدسية وتستغل ذلك لتحقيق مآربها الشخصية. أما المافيات السنية فهي تتحالف مع نسل علي من فاطمة فقط وتستغلهم لتحقيق مآربها الشخصية أيضاً.

٥ ـ التأكيد على أن الرسول(ص) يشفع لأمته ويعلم الغيب ويشفي المرضى

المسيح عيسى بن مريم(ص) كلمة الله تعالى وروحه، بعثه الله لبني إسرائيل بمعجزات وخوارق فاقت خوارق ومعجزات الرسل والأنبياء الذين سبقوه. وجود السيد المسيح عليه الصلاة والسلام والبركات وحمل أمه العذراء مريم عليها الصلاة والسلام والبركات، وولادته كلها تمت بمعجزات خارقة.

النبي والرسول محمد عليه الصلاة والسلام والبركات لم يأتِ بمعجزات ولم يولد بمعجزات. هو بشر مثلنا تماماً أكرمه الله بالنبوة والرسالة، وبالوحي يصحح أخطاءه. وهوَ لا يملك لنفسه نفعاً أو ضرراً، ولا يملك أن يشفع لأحد يوم القيامة. والقرآن ليس فيه آية واحدة تقول إن سيدنا محمد سيكون شفيعاً لأحدٍ يوم القيامة. الله سبحانه وتعالى يذكر لنا معجزات الرسل السابقين ولكن عندما يأتي الأمر إلى النبي والرسول محمد(ص)، فإن سنن وقوانين الله هي التي تسود فلا خوارق ومعجزات، وأي حدث له سبب جعله يحدث. والحدث نفسه سيكون سبباً لحدث أو أحداث وهذه سنن الله وقوانينه. أي ربط النتائج بالأسباب وهذا هو العلم الذي ينتج من استعمال العقل. أي قدرة الله سبحانه وتعالى فينا أو نفخة روحه فينا **﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾** (سورة آل عمران الآية ١٤٤). **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾** (سورة الكهف الآية ١١٠). **﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك لقد كِدت**

تركن إليهم شيئاً قليلاً، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجدُ لك علينا نصيراً﴾ (سورة الإسراء الآيات ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥)
﴿يسألونك عن الساعة أيان مُرساها، قل إنما علمها عند ربي، لا يجَليها لوقتها إلاّ هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة، يسألونك كأنك حفيّ عنها، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون، قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضَراً إلاّ ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، إنْ أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف الآيتان ١٨٧ ـ ١٨٨).

ولكن موروثاتنا الثقافية كلها تقول عكس ما جاء في كتاب الله. فكتب التراث المذهبة التي تطفح بها المكتبات العامة والخاصة، وما يطلق عليه من كتب الصحاح وكل كتب الحديث المتداولة، تنسب للرسول علم الغيب وصناعة المعجزات وشفاء المرضى وشروط قيام الساعة والوقوف يوم الحساب للشفاعة لأفراد أمته من صالحين وفاسدين وقتلة وطغاة، بدل أن يكون شاهداً عليهم كما ينص القرآن الكريم.

وتحول دين الله الواحد الذي أرسل رسله به وختمهم بسيدنا محمد(ص)، تحول هذا الدين أو حوّلته المافيات الدينية إلى مباراة بين السيد المسيح وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام والبركات. فالمافيات الدينية اخترعت هذه المعجزات ونسبتها إلى سيدنا محمد. فكيف يكون لرسول المسيحيين عيسى(ص) معجزات ولا يكون لرسول المسلمين معجزات! كيف يكون للدين المسيحي بابا وكرادلة وقسس وزي يميز بعضهم عن بعض ولا يكون للمسلمين الشيء نفسه. لذلك حذا المسلمون حذو المسيحيين فأصبح لديهم مفت

وفقهاء وطلبة علم. وبات لكل دين من أديان المسيحيين أو أديان المسلمين رجاله وكتبه وزيهم الذي يميزهم. وأصبح دين التوحيد والمساواة دين طقوس ومظاهر. وبات مهنة يرتزق منها كل من لا يجيد عملاً ينفع به نفسه ومجتمعه.

٦ ـ تحويل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع ذكوري

قلنا سابقاً إن النبي والرسول محمداً(ص) هو آخر الرسل والأنبياء ولماذا؟، وإنه بشر مثلنا أكرمه الله بالنبوة والرسالة، لم يأت بمعجزات وإنما بكتاب أوحي إليه من العلي القادر الذي خلقنا ذكوراً وإناثاً خلفاء له في الأرض لعبادته ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون**﴾ (سورة الذاريات الآية ٥٦)، والعبادة بمعناها الواسع والشامل هي الطاعة. أي علينا اتباع ما أمرنا به تجاه الغير وتجاه أنفسنا والابتعاد عما نهانا عنه تجاه الغير وتجاه أنفسنا، وهذا ما يجب أن يكون عليه العبد من ذكر وأنثى.

إذا كان على الذكر والأنثى الواجبات نفسها فيجب أن يكون لأي منهما الحقوق ذاتها. وإذا كان الحساب يوم الحساب لأي منهما بالتساوي ليس أي منهما أقل أو أكثر، فإن الحقوق واحدة أيضاً. هذا هو العدل شرع الله، وليس شرع المافيات الدينية والطغيانية.

أما الاحتجاج بالنصوص القرآنية أو الأحاديث المفتراة على الرسول(ص) لتحويل المجتمع إلى مجتمع ذكوري يحصل فيه الرجل على حقوق يطغى بها على المرأة، فإن أول من خالف النصوص القرآنية هو الخليفة القرشي عمر بن الخطاب عندما أوقف فريضة من الله وهي إعطاء الصدقات للمؤلفة قلوبهم ﴿**إنما الصدقات...**﴾ (سورة التوبة) كما جاء ذكر هذا سابقاً.

المساواة في الواجبات مساواة في الحقوق وهذا هو العدل. فإذا كان عدلاً في الجاهلية أن لا تكون للمرأة أية حقوق مساوية للرجل، فإن الرسالة الخاتمة قد أعطتها حقوقاً اعتبرت وقتها عدلاً. وما كان عدلاً في زمن يمكن أن يتحول إلى ظلم في زمن آخر. وكلمة التعديل مشتقة من العدل، فما كان عدلاً في زمن وأصبح ظلماً في زمن آخر فيجب تعديله ليصبح عدلاً. وعندما نطالب مثلاً بتعديل القانون أو النظام فليس معنى ذلك أن هذا القانون أو النظام أو جزء منه كان ظالماً وإنما أصبح كذلك مع الزمن. والنصوص القرآنية في الحقوق والواجبات الإنسانية لا تختلف عن ذلك. فكان عدلاً بنص القرآن أن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان وأن يملك الإنسان عدداً ليس له حد من الإناث يستمتع بهن جنسياً وعدداً ليس له حد من الذكور يخدمونه ويعملون له. ألم يكن هذا عدلاً بنص القرآن..؟ أليس هذا ظلماً وظلماً فادحاً الآن أن يفعل الإنسان بأخيه الإنسان هذا الفعل الشنيع فيستعبده كذكر ويغتصبها كأنثى، لمجرد أنه يملك المال الوفير لفعل ذلك؟

ألم ترسّخ المافيات الدينية حق الرجل بالزواج بأربع بدون شروط. فيمكن لرجل في الستين من عمره مثلاً أن يتزوج أربع فتيات أعمارهن أقل من عشرين عاماً، ويستبدلهن وقت وكيف ما شاء ويشاء. أهذا شرع الله العدل أم هذا ظلم واغتصاب؟ أنحن خلقنا لخدمة النصوص أم أن النصوص أنزلت لخدمة من أنزلت عليهم ولهم؟

ألم تحقر المافيات الدينية الكبيرة والصغيرة وزعماؤها وكتبهم المرأة منذ عهد المستبد الأول في التاريخ الإسلامي القيصر معاوية بن أبي سفيان وإلى يومنا هذا. فالمرأة كرمها الله في كتابه المنزّل على خاتم

رسله، والمافيات الدينية تفتري على رسول الله(ص) وتأتي بأحاديث تناقض القرآن تقول إن المرأة ناقصة عقل ودين، وإن أكثر أهل النار من النساء. وغيرها وغيرها من الأحاديث وكأن المرأة شيطان وليست إنساناً، أو كأنها حيوان شبه إنسان.

يقول الدكتور خالص جلبي في إحدى مقالاته:

«حديث مكان لقاء النساء في النار لا قيمة له ولا يمكن لنبي الرحمة أن يتورط في وصف النساء على هذا النحو المخجل العنصري، وحديث المرأة التي تقف بين الحمار والكلب الأسود مخجل. وباختصار فالأمويون احتاروا في موضوع القرآن وكيف يلغونه؟ فهداهم عقلهم إلى خدعة يعجز عنها إبليس وهي إلغاء القرآن بقرآن جديد هو الحديث. ولذلك نشأ فقه اسمه الكتاب والسنة، والمتشددون بنوا كل فهمهم المقلوب على الحديث الذي هو نص جديد يلغي الدستور الأساسي الذي هو القرآن، مثل تحريم الغناء والموسيقى، وحديث أن الله يضع قمعاً في أنبوب من يستمع إلى قينة مغنية ثم يصب الرصاص المذاب بدرجة ٨٠٠ في أذنيه، مما تعجز عنه المخابرات كل المخابرات العربية مجتمعة».

أغلب النساء اللاتي جاء ذكرهن في القرآن كن فاضلات عابدات قانتات. وأغلب الرجال الذين جاء ذكرهم في القرآن كانوا جبابرة طغاة يدّعون الألوهية ويمارسونها ويقتلون الأنبياء ويتهمونهم بالكذب والسحر والجنون. وأول شهيد في الدعوة المحمدية (الإسلام) امرأة، هي سمية، زوجة ياسر والد عمار، وذلك تحت التعذيب ليردوها عن الإيمان.

المافيات الدينية في العالم المتخلف والعالم العربي الإسلامي بالأخص، تدّعي أن المرأة لا يستقيم أمرها إلاّ بسيطرة الرجل عليها وضربها بصرف النظر عن علمها وقدراتها وعمرها. وهي إنسان ناقص لا تكتمل أهليتها إلاّ بالرجل الذي يسد نقصها فيفكر ويقرر عنها. وهي عورة يجب حجبها عن الحياة، ويدّعون أن هذا شرع الله. يفترون على الله الكذب وهم يعلمون أو لا يعلمون. ومن المضحك المبكي خروج فتوى من بعض مافيات المتشددين في المملكة العربية السعودية يقررون فيها أن المرأة لا يجوز لها الدخول إلى الإنترنت إلا بمحرم لأن من تكوينها وطبيعتها الفساد والتحريض عليه والعهر والفجور.

المرأة في واقع الأمر وفي كل زمان ومكان وبالرغم من أشدّ الصعوبات، وبما حباها الله من مواهب وقدرات، تحضن الحياة وتنميها وتصونها بعكس الرجل الذي يسرف في تبديدها. ويرجع الفضل للمرأة في أن يخرج الإنسان من الغابات ويستقر في حياة مدنية باكتشافها للزراعة فوفرت بذلك للرجل الاستقرار.

ويقول الدكتور خالص جلبي في مكان آخر:

«هناك فروق بيولوجية بين دماغ المرأة ودماغ الرجل، فقد ثبت أن تكوين دماغ المرأة أفضل من الرجل من عدة جهات فهو أشد كثافة في الجسر الذي يربط بين نصفي الدماغ. وهذا يعني أنها أفضل في التعلم والامتلاء الثقافي والحديث. وثبت أن دماغها الأيسر أفضل تكويناً في العمل الإبداعي من الرجل. كما ثبت أن المرأة تتفوق على الذكر بتحملها، وهذا يعود إلى تكوينها البيولوجي أيضاً. فالشرايين عند المرأة لا تتعرض للتصلب كما هو الحال عند الرجل.

والمرأة لذلك أفضل من الرجل وتعمر أكثر منه في المتوسط ثماني سنين. وهي بالتكوين الهورموني أقل عدوانية. لذلك كانت الحرب نشاطاً ذكورياً عبر التاريخ».

٧ ـ تجاهل أو عدم معرفة الفرق بين الذنوب والسيئات

حصرت المافيات الدينية الإسلامية العبادة في الشعائر. ووجهوا الناس هذه الوجهة حتى نسي الناس أن العبادة هي في الأفعال والإيمان مجتمعين، أي إطاعة الله. فلا إيمان بدون عمل صالح مقبول والعكس صحيح. تشوش الناس إلى درجة نسيان أن قوام الإيمان هو التوحيد والعمل، فأخذ معظمهم الشعائر ونسوا ما عدا ذلك على أهميته. هل تمحو الصلاة الكذب أم يمحو الصيام الكذب والغش والنفاق وقذف المحصنات والمحصنين وشتم الناس. وهل يرجع الحاج من حجه بصفحة أصبحت بيضاء؟ هل خطر ببالك أن تسأل نفسك أو أياً من رجال المافيات الدينية هذا السؤال: ما هو الفرق بين الذنوب والسيئات؟

سألت علماء وأساتذة ودكاترة! في الشريعة ومتخرجين من الجامعات والمدارس والمعاهد وحلقات الدروس الدينية في معظم العالم (الإسلامي)، وغيرهم ممن يطلقون على أنفسهم (مثقفين) أو متفقهين في الدين هذا السؤال البسيط. لم يجب أي منهم إجابة تختلف كثيراً عن إجابة الآخر وكلها إما تساوي الذنوب بالسيئات أو تعتبر أن السيئة أكبر من الذنب أو العكس. السؤال الآخر الذي يتبع هو: لمن نصلي ونصوم ونحج ونزور الأماكن المقدسة ونقيم الشعائر الدينية؟ لم أحصل بالطبع على الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال أيضاً.

لكي نجيب عن السؤال الأول لا بد لنا أن نعي ما تعلمناه من اللغة

العربية وأن نتدبر آيات القرآن ونتفكر فيها وليس ترديد ما حفظناه منها. ما تعلمناه والذي يجب أن نتدبره، أن الشيء يعرف بضده. النور ضد الظلام، والذنب ليس له ضد غير المغفرة، نعود إلى الأسئلة. ضد من نرتكب الذنب؟ إذا عرفنا الإجابة عن السؤال الذي يقول: لمن نصلي ونصوم ونحج ونزور الأماكن المقدسة، عرفنا الإجابة عن سؤال ضد من نرتكب الذنب؟

الإجابة السهلة التي لا تحتاج إلى تدبر وتفكير أننا نصلي وتصوم ونحج ونقوم بكل الشعائر الدينية لله بدون أن نعي أن الله هو الغني لا يحتاج إلى صلاتنا وصيامنا... إلخ. فإذا كان هذا صحيحاً فهل إذا لم نصلّ ونصُمْ.. إلخ. ارتكبنا ذنوباً ضد الله ـ تعالى الله ـ أستغفر الله. طبعاً هذا كفر. نحن في الحقيقة عندما لا نصلي أو نصوم إلخ. نرتكب ذنوباً ضد أنفسنا، والله سبحانه وتعالى يغفر لنا هذه الذنوب إن شاء عندما نتوسل له ونرجوه أن يغفر لنا ﴿**..ومن يغفر الذنوب إلا الله..**﴾ (سورة آل عمران الآية ١٣٥) لا.. بل وأكثر من ذلك، فالله يبشر عباده المؤمنين في كتابه الكريم (سورة الزمر الآية ٥٣) ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم**﴾ صدق الله العظيم.. وماذا تعني ﴿**الذين أسرفوا على أنفسهم؟**﴾.. هي تعني أن عبدالله المؤمن قد يغفر الله له حتى ولو لم يصلّ ويصُم.. إلخ طوال عمره.. هذا هو الإسراف على النفس.

نأتي الآن إلى السيئات، والضد للسيئة في اللغة هو الحسنة، وهنا سؤال يفرض نفسه:لمن نحن نسيء أو نحسن؟ نحن جميعاً عندما نتصدق مثلاً، فنحن نحسن لأنفسنا وللغير، وعندما لا نفعل ذلك نسيء إلى أنفسنا و إلى الغير. وكذلك عندما نكذب أو نغش أو

نقوم بأي فعل ضد مكارم الأخلاق، ضد الإنسان والحيوان والبيئة إلى غير ذلك من أفعال وأعمال ليست موجهة مباشرة إلى فاعلها. فبينما يغفر الله الذنب بدعاء وتوسل ورجاء من فاعله، فإن السيئة لا تمحها إلا حسنة من فاعلها **﴿.. إن الحسنات يذهبن السيئات...﴾** (سورة هود الآية ١١٤)، وكل هذا معناه أن الإنسان المؤمن بالله ويوم الحساب يأتي في ذلك اليوم العظيم حاملاً كتابه بيده أي ميزانية أفعاله في الحياة الدنيا والتي تحتوي على عمودين كما في أيّة ميزانية لمؤسسة أو لشركة، أحدهما يحوي السيئات، والآخر الحسنات. فكلما كانت الأرباح بعد حسم السيئات من الحسنات كبيرة وعظيمة كبر مقامه وعظم في الجنة، وبقدر الخسائر يكون العذاب، ولن يظلم ربك أحداً **﴿.. وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾** (سورة آل عمران الآية ١٠٨). و**﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكُبّت وجوههم في النار هل تجزون إلاّ ما كنتم تعملون﴾** (سورة النمل الآيتان ٨٩ ـ ٩٠).

في كل الأحوال فإن الإيمان بالله ويوم الحساب هو الأساس. فالذين لا يؤمنون بالله ويوم الحساب هم المجرمون من الظلمة والمشركين والمنافقين والذين يجعلون من أنفسهم وكلاء عن الله فيحاسبون الناس على كفرهم أو إيمانهم وهؤلاء هم المجرمون. هؤلاء كلهم عليهم علامة تميزهم ليُحملوا من أيديهم وأرجلهم ويقذف بهم في النار خالدين فيها **﴿يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام، فبأي آلاء ربكما تكذبان، هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن، فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** (سورة الرحمن الآيات ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤).

أما الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، أي

الحسنات. فهؤلاء بشرهم الرحمن الرحيم في أكثر من ستين آية من آيات الكتاب الكريم بالكثير من الخير الذي يفوق الوصف، فمثلاً يقول الرحمن في (سورة مريم الآية ٩٦) ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا**﴾ وفي سورة الكهف الآيتان ١٠٧ ـ ١٠٨) ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً، خالدين فيها لا يبغون عنها حِولاً**﴾، وفي (سورة التغابن الآية ٩) ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم**﴾.

الله سبحانه وتعالى يؤكد بوضوح شديد في آية من سورة المائدة وغيرها من السور هذا المعنى ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (سورة المائدة الآية ٦٩). الله يؤكد أن أي إنسان، بصرف النظر عن دينه أو حتى ولو لم يكن له دين أو عقيدة، يكفي فقط أن يؤمن بالله الواحد ويعمل صالحاً حتى يطمع برحمة الله وعفوه ﴿**ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب**﴾ (سورة غافر الآية ٤٠). ألم يتوجّه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالفطرة إلى ربه بعد أن احتار بين الشمس والقمر والنجوم؟ لقد أسلم وجهه لله بالفطرة السوية.

المافيات الدينية وزعماؤها وأفراد عائلتها إمّا لا يعرفون الفرق بين الذنوب والسيئات أو أنهم يتعمدون أن يتجاهلوا هذا الفرق بمباركة وتأييد من المافيات السياسية المتربعة على عرش السلطة والتي تحاسِب ولا تحاسَب. المافيات الدينية تركّز على الشعائر، وعندها وعند السلطة فإن المؤمن المسلم هو الذي يصلي ويصوم ويحج ويطيع

سلطة الجبت (المؤسسة الدينية) والطاغوت (المؤسسة الطغيانية)، أما عند الله فهذا الإنسان ظالم لنفسه ظلماً كبيراً.

٨ ـ مافيا الفتوى والإفتاء

المافيات السياسية لا بد لها أن تبرر تصرفاتها من سرقة للمال العام، مال الجماعة، وسجن وتعذيب وقتل للإنسان. والمافيات الدينية تتسابق لتبرير وتسهيل وتحليل مثل هذه التصرفات معتمدة أصلاً على الأحاديث النبوية الكاذبة المفتراة على رسول الله (ص). ويعززون قولهم بآيات القرآن بعد أن يخرجوها من سياقها ببترها وذكر جزء منها كقولهم أن الله يأمرنا باتباع ما يأمرنا به نبينا وعدم اتباع ما ينهانا عنه ﴿...**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ هذا جزء من آية من سورة الحشر عن الصدقات والتي تبدأ ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ (سورة الحشر الآية ٧).

هذه الآية تقرر للمؤمنين في زمن الرسول (ص) أن يأخذوا ما يعطيهم ويقبلوا ما يمنعهم عنه من الصدقات.
في (المنجد في اللغة)، المفتي هو الفقيه الذي يعطي الفتوى ويجيب عما ألقي إليه من المسائل المتعلقة بالشريعة.

ولنسأل ما هي الشريعة؟ الشريعة هي ما اتفقت عليه أغلبية ممثلي الجماعة الذين اختارتهم على اتباعه. أي القانون الذي يحفظ للجماعة حقوقهم وأمنهم ويفصل في خلافاتهم. وإذا تركنا باب

الإفتاء مفتوحاً لمن هب ودب من عالم أو جاهل فستكون الفوضى عارمة، وهذا ما حدث في العالم الإسلامي الذي تفرق مذاهب وشيعاً وأحزاباً وطوائف بظهور المافيات الدينية والسياسية قبل أكثر من ألف عام وظهور عدد كبير من المفتين الأفراد الذين يفرقون أكثر مما يجمعون وكل يغني على ليلاه.

العصر الحديث الذي تعددت فيه وسائل الإعلام والمواصلات، أظهر أنواعاً وفصائل جديدة من مدّعي العلم. منهم من يجيد التعبير كتابة أو من يعبر له، ومنهم من يجيد التمثيل وله حضور جماهيري، وكل له رأي وأتباع، وتفرق المجتمع الإسلامي وتقاتل وتنافر وتخاصم بين مدّعي العلم والافتاء الأفراد.

وكما اخترعت المافيا الكاثوليكية المسيحية الاعتراف للقسيس، اخترعت كل مافيا دينية إسلامية مفتيها. وكذا فعلت الطوائف المافياوية الإسلامية. أما المافيا السياسية فتعين من المذهب أو الطائفة المافياوية المتحالفة معها مفتياً للديار أو للبلد الإسلامي الذي تستولي عليه وتستعبد أهله.

الناس في كل العالم الإسلامي مع مرور أكثر من ألف عام على ذلك، اعتقدوا أن هذا هو الدين وأنهم ناقصو الأهلية لا بد لهم ممن يقودهم ويبصرهم بأمور دينهم ودنياهم، فهم ببغاوات تردد وتسمع وتطيع ما تقوله المافيات الدينية والسياسية التي تفكر بالنيابة عنهم. فهم ليست لديهم عقول يفكرون بها ولا بصائر يميزون بها.

الإنسان العربي والمسلم الذي مرت عليه عهود من الاستبداد

والطغيان والفساد والقمع وتعطيل العقل لا يصدق، بل هو لا يستوعب أن هذا الذي يطغى عليه ديناً برضاه وقبوله هو إنسان بشر مثله، وأن الدين أبسط كثيراً مما يصور له فهو ليس معادلة رياضية أو لغزاً كيماوياً يحتاج إلى جيش من الباحثين والمنقبين والمفتين والأئمة والدعاة والآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف، الذين يستعملون الدين وسيلة للإثراء والتقرب من السلطة وجلب الحصانة لأنفسهم.

الدين له وجهان وجه هو الرسالة السماوية، وهي واحدة في كل الأديان: إله واحد وبشر متساوون، لا يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. والوجه الآخر هو الشعائر من صلاة وصيام وحج وغيرها حسب الديانة المتبعة، وهي تختلف من دين إلى دين، وليس للمافيات الدينية فضل في تعليمها للناس، فالإنسان يتعلمها في البيت من أمه وأبيه. هكذا فعل صحابة الرسل وهكذا تعلم أولادهم منهم وإلى يومنا. وهذا هو الدين كله بكل بساطة ووضوح.

أما الادعاء والكذب على الله والناس بأن هذه العصابات الدينية هي أهل الذكر الذي أمر الله المؤمنين بسؤالهم إذا كانوا لا يعلمون، فهذا التوجيه الإلهي هو لصحابة الرسل، لأنهم هم أهل الذكر الذين اختارهم الله لحمل الرسالات وتبليغها.

الذكر هو الوحي وأهل الوحي هم الرسل والأنبياء. والله سبحانه وتعالى يبين ذلك في القرآن، وسأورد آيات على سبيل البيان لا الحصر: .

١ ـ ﴿**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٨).

٢ ـ ﴿**أوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون**﴾ (سورة الأعراف الآية ٦٣).
٣ ـ ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (سورة الحجر الآية ٩).
٤ ـ ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم، فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (سورة النحل الآية ٤٣).
٥ ـ ﴿**بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلّهم يتفكرون**﴾ (سورة النحل الآية ٤٤).
٦ ـ ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ (سورة الأنبياء الآية ٢).

وبعد، فالإنسان يأتي يوم الحساب وحيداً بدون مفتٍ أو شيخ أو باحث أو مفسر أو أي من أفراد العصابات الدينية، يأتي وحيداً يحمل كشف حسابه أو ميزانية أعماله في الحياة الدنيا ﴿**إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدّهم عداً، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾ سورة مريم الآيات ٩٣ ـ ٩٥ ﴿**وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ (سورة الإسراء الآيتان ١٣ و١٤).

٩ ـ البنوك والمافيات الدينية

أقدم بنك (إسلامي) لا يتجاوز عمره أربعين عاماً مع أن البنوك انتشرت في العالم منذ أكثر من ثلاثمائة عام. وعندما استعمرت أوروبا العالم المتخلف (الإسلامي) أدخلت البنوك، وقام رجال الأعمال والتجار بالتعامل معها، كما قامت بنوك وطنية في مختلف أنحاء العالم (الإسلامي) لتنافس بنوك المستعمر. لم نقرأ في ما

وصلنا من كتب زعماء المافيات الذين عاصروا إنشاء بنوك المستعمر أو البنوك الوطنية أن التعامل معها حرام لأنها تتعامل بالربا.. أي فوائد المال المودع لديها أو المقترض منها.

في السبعينيات من القرن الماضي ارتفعت أسعار النفط وتكدست الأموال في جيوب المافيات السياسية ورجال الأعمال المتعاونين والمتحالفين معهم.

المافيات الدينية المتطلعة دائماً إلى المال سواء عن طريق التحالف مع المافيا السياسية أو التجار ورجال الأعمال، أوحى أحد زعمائها إلى رجل أعمال خليجي يملك ثروة ضخمة جمعها من استغلال منصبه الحكومي قبل حوالى أربعين عاماً بفكرة البنوك الإسلامية. وبعدها اشتعلت الساحات الإسلامية بالفتاوى تحرم التعامل مع البنوك لأنها تتعامل بالربا، وتدفقت أموال السذج الذين لا يفكرون بعقولهم ولكن بأسماعهم وأعينهم على هذه البنوك التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم (الإسلامي) وغير الإسلامي الذي تقيم فيه جاليات (مسلمة)، وأصبح لكل بنك من هذه البنوك لجنة (شرعية) أعضاؤها هم من زعماء أو أعضاء المافيات الدينية تحلل تعاملات البنك وصفقاته. هي طبعاً تغض الطرف عن تعامل البنك (الإسلامي) بأموال السذج، الذين أخافوهم من الحرام والعذاب، مع البنوك التي أطلق عليها (ربوية) وحيث لا يمكن لأي بنك (إسلامي) لكي يعمل إلا أن يتعامل مع البنوك (الربوية) لأنها هي التي تملك مفاتيح التجارة الدولية، والبنك (الإسلامي) لا بد أن يستثمر أموال السذج المكدسة لديه وبالفائدة (الربا!) في البنوك الربوية.

كلمة إسلامي النظيفة مرغتها المافيات الدينية في التراب باستعمالها،

للتغطية على عمليات نهب وسرقة جهد وعرق السذج في شركات توظيف الأموال على الطريقة الإسلامية، وكان زعماء المافيات الدينية مستشارين للحرامية والنصابين الذين أكلوا أموال السذج بالتأكيد على أنهم سيحصلون على عائد مرتفع (خيالي) على أموالهم إذا استثمروها لهم لأنه سيكون فيها (البركة) حيث توظف (بالحلال) وباستشارة المشايخ من أصحاب (الفضيلة!) و(السماحة!) و(الأئمة!) و(العلماء!).

وهكذا تبددت بلايين الدولارات من جهد وعرق السذج ظالمي أنفسهم.

١٠ ـ تهميش سنّة الله وتأليف سنّة تحل محلها

شرحنا في هذا الكتاب كيف أن كتاب الله عدو لتحالف الشيطان المعقود بين مافيا السياسة والاستبداد ومافيا الأديان.

أول تحالف شيطاني تمّ عقده بين معاوية بن أبي سفيان أول زعيم مافيا سياسية استبدادية وأول قيصر (إسلامي!) وبين أبي هريرة زعيم المافيا الدينية الموالية للقيصر معاوية. الأول اكتشف أن كتاب الله أو الدستور الإنساني يقول إن الحكم شورى بين الناس وأن المال العام هو مال الجماعة وليس القيصر، فماذا يفعل؟ بالطبع لا يمكنه إلغاء القرآن فوجد القيصر ضالته في أبي هريرة الذي كان مستعداً لبيع مصاحبته للرسول(ص) في مقابل المال والنفوذ، وبدأ يفتري على رسول الله ويقول قال لي رسول الله، أو رأيت رسول الله يفعل كذا وكذا. مع الأيام بدأ الناس تسجيل هذه الأقوال والأفعال وبدأ نشوء المافيات الدينية الموالية والمتآمرة، وكل مافيا تفتري على رسول الله(ص) عن طريق إسناده إلى صحابي، ثم تعنعنه حتى أصبحت

الأحاديث وأفعال الرسول لا تسعها المجلدات وأطلق على كل ذلك السنّة.

السنّة هذه تفصل تفصيلاً دقيقاً لتلائم أي تحالف قائم أو سيقوم سواء أكان في السلطة أم متآمراً عليها، وأحاديث أو أفعال رسول الله غير المكتوبة أو المكتشفة يمكن اكتشافها وكتابتها وإسنادها.. أي عنعنتها لتلائم أي حدث جديد لا يمكن تبريره، حتى إن السلطان العثماني محمد الذي استولى على القسطنطينية وأباد سكانها أطلق عليه لقب الفاتح بدل أن يطلق عليه لقب السفاح. ولقد اكتشفت له المافيا الدينية الموالية حديثاً أسندته وعنعنته مفاده أنه سيأتي زمن يفتح فيه سلطان اسمه محمد القسطنطينية، وكأن رسول الله(ص) يعلم الغيب ويمتدح السفاحين والقتلة.

لقد عاصرنا كيف أن المافية الدينية الموالية جعلت الملك فاروق الألباني الأصل من آل بيت رسول الله، وهي فعلت ذلك تماماً مع السفاح صدام حسين الذي أوصلت نسبه إلى الحسين بن علي وفاطمة الزهراء! ومن خوفها من السفاح لم تتمكن حتى من لفت نظره أن كلمة الله أكبر التي أضيفت إلى العلم العراقي نفاقاً ورياءً انقلبت بالهمزة الموضوعة على ألف الله إلى تساؤل.. هل (الله) أكبر؟ فكلمة الله لا تكتب بأي حال من الأحوال بالهمزة.

السنّة في كتاب الله هي قوانين الله التي تحكم الوجود الكوني والإنساني على سطح الأرض ومخالفة هذه القوانين هو الهلاك والدمار بعينه. هذه القوانين أو سنّة الله وضعها لخير الإنسان خليفته في الأرض، وبالعلم يكتشف الإنسان هذه القوانين الكونية كالكهرباء والجاذبية وعناصر المادة وغيرها الذي لا يحصى.

سنّة الله في الإنسان نفسه لم يعترف بها الإنسان بعد، مع أن الأنبياء والرسل والمصلحين الملهمين حاولوا أن يبصروا الإنسان بأن وجوده وسعادته يعتمدان على اتباع هذه السنّة أو القانون الإلهي أو الشريعة الإلهية وهي العدل، والعدل ضد الظلم، والظلم واحد سواء أكان ظلماً للنفس أم ظلماً للآخر.

كل مافيا دينية موالية أو معارضة، رافضة أو مُكفّرة، خارجة أو داخلة تريد فرض الشريعة على المجتمع بقوة السلاح، وعندما تسأل أي شريعة يأتيك الجواب: الكتاب والسنّة، ولكن الإشكالية أن لكل مافيا تفسيراً للكتاب وآياته وأحاديث وأفعالاً للرسول تعترف بها ولا تقبل غيرها.

المضحك المبكي أن لدى كل مافيا تفاصيل دقيقة عن سنّتها الملزمة وغير الملزمة من أفعال رسول الله(ص).

مثلاً تربية الذقن بطول معين أو لبس عمامة على الرأس أو تكحيل العين أو تربية أو حلق شعر الرأس أو تحريم أو تحليل التعطر برائحة معينة، أو حتى التخلص من الفضلات الإنسانية.

سنّة الله في الإنسان وسعادته في الحياة الدنيا والآخرة هي السنّة الوحيدة وهي العدل، والشقاء والعذاب في الحياة الدنيا والآخرة هي في مخالفتها، أي اتباع الظلم.

هذه إحدى عشرة آية في سور كتاب الله عن سنّته، ١٣٧ آل عمران، ٢٦ النساء، ٣٨ الأنفال، ١٣ الحجر، ٧٧ الإسراء، ٥٥ الكهف، ٣٨، ٦٢ الأحزاب، ٤٣ فاطر، ٨٥ غافر.

﴿سنّة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلا﴾ (سورة الفتح ـ الآية ٢٣).

المافيات الدينية اخترعت سنّة تشرع بها للظلم وتطمس سنّة الله وهي العدل، وذلك لخدمة قوات تحالف الشيطان، وهذه هي إحدى جرائمها الكبيرة.

١١ ـ علاج الأمراض بالقرآن والطب النبوي!

بعد أن أفرغت المافيات الدينية كتاب الله من محتواه الذي به نهتدي إلى السعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وركزت على الشكليات كالحفظ والتجويد بدل التفكر والتدبر فيه كما يطلب منا الله، وجدت المافيات الدينية الصغيرة التي لا وزن لها في أي تحالف شيطاني، أن بإمكانها استعمال كلام الله، بسبب قدسيته وجلاله، في سرقة اليائسين من المرضى بالادعاء أن بإمكانهم علاج كل الأمراض المستعصية بالقرآن.

طرق العلاج متعددة، والذي شاهدته منها هو:

١ ـ التلاوة المباشرة على المريض بآيات من كتاب الله.

٢ ـ كتابة آيات من القرآن بالحبر الصيني الأسود على جدار وعاء ثم صب الماء في الوعاء فيمحو الماء الحبر ويذوب في الماء يشرب المريض الحبر المذاب، وتسمى هذه الطريقة (المحْوْ).

٣ ـ الطريقة العنيفة، وهي تستعمل لعلاج الأمراض النفسية والصرع والجنون.
ينام المريض داخل مربع يحمله المحتال معه وهو عبارة عن أربع

خشبات طويلة مكسوة بقماش أسود مطرز بكلمات مكتوبة بالخيط الأبيض لم أتبين ما تعني، ويصنع بها المعالج المحتال مربعاً ينام فيه المريض أو المريضة، ويبدأ (الطبيب!) بتلاوة القرآن بطريقة غريبة، كأنه يولول، يرتفع فيها صوته وينخفض وفي يده كرباج يضرب به المريض داخل المربع. جلسة الرعب هذه تستمر حوالى العشرين دقيقة يكون المريض فيها قد فقد الوعي.

٤ ـ هناك طرق أخرى وتختلف من محتال لآخر، ولكنها تستعمل كلام الله وقدسيته واحترامه في الاحتيال والسرقة.

أما المافيات الدينية المؤهلة تأهيلاً عالياً في النصب والاحتيال فإنها تخلط العلاج بالقرآن بالطب النبوي بعدما ادعت أن الرسول بجانب أنه نبي ورسول وحامل رسالة فهو أيضاً طبيب، وأنهم تعلموا هذا الطب بالتواتر من الرسول إلى صحابته إلى أبنائهم إلى أن وصل إليهم، عن طريق التمعن في الأحاديث (الصحيحة المعنعنة).

الطب النبوي الذي يدّعونه لا يتعدى كونه ما كانت تعرفه جدتي من وصفات شعبية تعالج بها أفراد الأسرة والأقارب والجيران.

من أفراد هذه المافيات من يحمل شهادة (الدكتوراه) في النصب والاحتيال بالقرآن والطب النبوي.

هؤلاء متخصصون في علاج علية القوم من أفراد المافيات السياسية الاستبدادية والأغنياء في المجتمعات الإسلامية المتخلفة الذين فقدوا الأمل في أن يساعدهم الطب في علاج أمراضهم.

من هؤلاء الجهابذة من تعرفت إليه زوجة صديقي المصابة بالعقم في سعيها الحثيث لتكون أماً.

يقول صديقي.. كان يأتي لمنزلنا شيخ مهيب يطلب من زوجتي أن تغتسل وتتوضأ وتتعطر بزيت الورد، ثم يبدأ جلسة العلاج التي تستمر ساعتين يتلو عليها فيها القرآن وينفخ عليها! واستمر ذلك لمدة أسبوعين.

في اليوم الخامس عشر حضر إلى منزلنا فرحاً يحمل حجابين، وطلب من زوجتي أن تلبس أحدهما في ساعدها الأيمن ولا تخلعه أبداً، ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى وطلب من زوجتي أن تتركنا لخمس دقائق فقط لأنه لا يستطيع (من فرط أدبه المزيف) أن يقول لها عن كيفية لبس الحجاب الثاني الذي كان يتدلى من حبل على شكل حزام.

خرجت زوجتي فقال لي: على زوجتك أن تلبس هذا على جسمها في وسطها، على أن يكون الحجاب متدلياً إلى الأمام قريباً من فرجها عند مجامعتها، أما إذا أردت مجامعتها من الخلف في فرجها فعليها أن تدير الحزام ليتدلى الحجاب من الخلف قريباً من فرجها.

يختم صديقي (حفلة) العلاج بما قاله له حامل الدكتوراه في النصب والاحتيال ومؤكداً أن مضاجعة المرأة من الأمام تجعل الجنين يتخلق ذكراً بإذن الله، أما مضاجعة المرأة من الخلف فالجنين يتخلق أنثى وأيضاً بإذن الله!!؟؟

مرت خمس سنوات وزوجة صديقي تلبس الحجابين ولا حمل،

وأضاع صديقي مبلغاً محترماً من المال (كهدية) وهو متضايق جداً من حجاب الإنجاب.

هذه المافيات لتأكيد مصداقيتها تصر على أنها تفعل ذلك لوجه (الله) ولا تقبل أجراً إلاّ من (الله)، ولكنها تضيف أنها تقبل الهدية، فقبول الهدية (سنّة) لأن النبي قبل الهدية.

وأن الهدية هذه ستوزعها على الفقراء والمساكين.
وتسأل نفسك من أين لهم هذه الدور الفخمة والعربات الفاخرة والزوجات الأربع وليس لهم عمل إلاّ أنهم رجال (دين)!!؟؟

١٢ ـ تحويل المنتحر القاتل إلى شهيد.. والسفاح الظالم إلى مجاهد

التحالف الشيطاني بين مافيا السياسة والاستبداد ومافيا الأديان، أو بالوصف القرآني (الجبت والطاغوت) كائن منذ وجدت الأديان الأرضية والسماوية. وهم، أي الجبت أو المافيات الدينية، يعتبرون القتال في سبيل (الله) جهاداً والمقتول شهيداً.

هذا مطلق الصحة في القتال الذي يتم في عهود الأنبياء والرسل لأنهم لا يقاتلون من أجل القتال والقتل والاستيلاء على أراضٍ وثروة وأموال الغير، لكنهم يأتمرون بأمر الله سبحانه وتعالى الذي يأمرهم، بالوحي أو بالذكر، بالقتال أو عدمه.

الإنسان الذي يقاتل يبذل أقصى الجهد العضلي والنفسي وهو يعلم مقدماً أنه يخاطر بأغلى ما في وجوده وهي نفسه، فهو المجاهد إن لم يقتل وهو الشهيد إن قتل، ويصبح في الجنة مع الرسل والأنبياء

لأنه مات في الدفاع عن وحدانية الله، وبأمر منه سبحانه وتعالى وبآياته في كتابه الكريم، وليس بفتوى رجل دين (جبت) أو أمر طاغوت.

ليس هناك شهداء في غير عهود الأنبياء والرسل.. أي بعد وفات سيدنا محمد توقف الجهاد وانقطعت الشهادة.

الحروب والاقتتال بين البشر في غير عهود الأنبياء والرسل ليست إلاّ سلخانات آدمية يضحى فيها بالأنفس الإنسانية المقدسة في سبيل إله غير الله. وهو جهاد في سبيل الطاغوت اليهودي أو المسيحي أو الإسلامي أو البوذي أو القومي أو الإيديولوجي، وهو ـ أي (الجهاد) و(الشهادة) في سبيل الطاغوت ـ صك اعتراف بنجاح تحالف الشيطان.

تحالف الرحمن هو إطاعة الله ورسوله. وجهاد القتال يتم بأمر الله زمن الرسول عن طريق رسوله ولا يتم عن طريق شيخ يلبس جبة أو عمامة أو عباءة. فأهل الذكر والوحي هم الأنبياء والرسل وليسوا هؤلاء الجبت المتحالفين مع طاغوت، أو المتآمرين على طاغوت، وهدفهم استعباد الناس وتسخيرهم والاستيلاء على المال العام.

القتال في سبيل قضية عادلة، وعندما أقول عادلة فإني أعني قتال الظلم والظلمة فهذا لا يقرره فرد وإنما تقرره أغلبية أفراد المجتمع، وهو قتال لرفع راية العدل وتنكيس راية الظلم، فالرحمن هو العدل والشيطان هو الظلم.

أما المجاهد الشهيد فلم نسمع به في سيرة الأولين إلاّ قبل أكثر من خمسين عاماً فيما سلف من اليابانيين الذين كانوا (المجاهد) منهم في

سبيل الإله الإمبراطور يجعل من نفسه صاروخاً متفجراً يدمر به السفن الأميركية في الحرب العالمية الثانية، وكان الواحد منهم يعتبر (شهيداً) يذهب بعد الممات إلى الجنة التي صنعها لهم الإمبراطور الأول لليابان جد الإمبراطور الذي ماتوا في سبيله أو أول زعيم للمافيا السياسية الاستبدادية اليابانية.

تباً للمتاجرين بفلسطين وقضيتها! وإلى الجحيم هم وكل الأنظمة والمنظمات العربية والإسلامية التي قامت باسم فلسطين وقضيتها. فكم ارتكب باسم فلسطين وباسم قضيتها من تجاوزات وجنايات وباتت مطية للمتاجرة، وذريعة للظلم والتعسف. فالأنظمة العربية والإسلامية تكمم أفواه شعوبها بحجة أن لا صوت يعلو على صوت المعركة، والمعركة والانتصارات هي بين الطواغيت داخل الأوطان، والأوطان وما عليها ومن عليها هم الضحايا، والأوطان سجون، والعدو أرحم بنا من أنفسنا، وينطبق علينا القول (عدو عاقل خير من (أخ) جاهل حاقد).

المنظمات الإسلامية التي تريد تحرير الأوطان من العدو لتحتلها، تفرض رؤيتها الضيقة أو الواسعة للدين والحياة بالقوة والسجون والتعذيب، كما فعلت وتفعل المافيا الدينية في إيران، وكما تفعل الأنظمة العربية والإسلامية أو المافيات السياسية الاستبدادية.

المافيات الدينية الفلسطينية أضل سبيلاً من اليابانيين الذين يقتلون العسكريين. فهم يستعملون الله ودينه ويغسلون مخاخ الشباب الطري الواعد، ذكوراً وإناثاً، ليذهب ويقتل النساء والأطفال والأبرياء، وينتحر بحجة أن العدو يقتل النساء والأطفال الأبرياء، ويتناسون أن قتل الأبرياء باطل، والذي يقتل أو يحرض على قتل

الأبرياء ظالم، والذي يقتل نفسه فقد ظلمها، والظلم باطل لا يفعله المؤمن وإنما يحرض عليه ويفعله أولياء الشياطين، والباطل لا يصحح الباطل، الحق فقط هو الذي يصحح الباطل ولا يقيم الحق ويفعله إلاّ المؤمن الحق بإله واحد وأخوة إنسانية، والظلم لا يبرر الظلم المعاكس، والقتل لا يبرر القتل المضاد، والصراع لا يتم إلاّ بوجود طرفين، ولا يتوقف القتل والقتل المضاد إلاّ بواحد من أمرين، أحدهما يقرره الواقع وهو انتصار القوي على الضعيف والقضاء عليه، أو أن ينسحب الآخر من الصراع، أي ينهي عملية القتل ويوقفها. وهذا لا يتوافق مع هوى وطموحات المافيات الدينية.

المشكلة مع الذين يتكلمون باسم الله من منظمات ورجال ونساء أفراد، أنهم يوهموننا أنهم يتكلمون باسم الله ودينه وأن أقوالهم هي أقوال الله وأن أعمالهم هي ما أمر به الله، فهم والله سواء لا يُحَاسَبون بل هم الذين يُحاسبون.

أما حجة الدفاع عن النفس، فهي فخ ينصبه القوي ليقضي به على الضعيف، والضعيف مهما حاول فإنه هو المغلوب في النهاية.

العالم العربي و(الإسلامي) بين فكي وحشين متحالفين كتب معاهدة تحالفهما الشيطان.

﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾. (سورة الكهف ـ الآية ٥٩).
﴿ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (سورة السجدة ـ الآية ٢١). صدق الله العظيم.

الفصل السادس

فوضى عارمة

يحتوي هذا الفصل أولاً على مداخلة هي كناية عن رسالة إلى موقع على الإنترنت لإحدى العائلات المافياوية الدينية أطلق على نفسه (الوسطية)!. وثانياً على رسالة لناقد عربي يوجهها إلى المؤلف يناقشه فيها حول موقفه من الإسلام. وثالثاً رد المؤلف على رسالة الناقد العربي يحاول فيه أن يشرح وجهة نظره في أمور أشكلت على الناقد صاحب الرسالة.

١

مداخلة

الأخوة في الوسطية

أتابع بقلق واهتمام أسئلة أعضاء الوسطية المشبعة بالشحوم الضارة البعيدة كل البعد عن الوسطية لأنها مرتكزة على الثقافة التقليدية المنطلقة من مرتكز ديني وليس من توجه إنساني، للمفكر المستقل الأستاذ خالص جلبي، والإجابات المنعتقة من (كلبشات) وزنزانات ما وجدنا عليه آباءنا بعد أن دعانا الشيطان إلى جنته فوجدنا أنفسنا في عذاب السعير، ولم نسلم بعد وجهنا إلى الله مسيئين مستسلمين للتحالف الشيطاني بين مافيا الطغيان ومافيا الأديان. نتحرك بينهما في فوضى عارمة تتجاذبنا العائلات المافياوية من قبيلتي مافيا السياسة ومافيا الأديان: الدماء تسيل والخراب يعم والجهل يطبق، ونحن مصرون على البقاء وعدم الخروج من علم الملائكة إلى علم الله الذي بدأت أجزاء أو بقع من هذا العالم تضع أقدامها عليه في

غرب أوروبا وأميركا الشمالية واليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا ونيوزيلندة وغيرهم بدرجة أو أخرى.

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة الآية ٣٠).

الدخول إلى علم الله يعني الإيمان به إلهاً واحداً ليس له شريك وأن الناس جميعاً هم خلفاء الله في الأرض وكل فرد منهم هو خليفة الله في الأرض والأمر في الدنيا لأغلبيتهم .. أي للجماعة، والإيمان بأن الناس سواسية وأن كل فرد منهم يؤمن بأن أخاه الإنسان مساوٍ له تماماً وأنه أعلى أو أدنى درجة بالعمل الصالح أو الطالح.

المشكلة الكبرى الأزلية التي نعاني منها أننا في تقييمنا للأحداث والأشخاص والأفكار ننطلق من قاعدة دينية إسلامية مرتابة وفي الأغلب معادية للآخر، وننسى أننا في العالم الإسلامي أسرى بإرادتنا للطواغيت وهم مافيا السياسة أو الحكم، وللجبت أو الطواغيت الدينية، وهم مافيا الأديان، بعد أن فقدنا المناعة ضدهما منذ زمن طويل. ونُعرض عن التدبر والتفكر في آيات الله فيمن سبقنا وفيمن حولنا وفي أنفسنا وما أنزل على رسولنا وهو القرآن الكريم. الرسل والأنبياء جميعاً يدينون بدين الإسلام. وجوهر رسالتهم من نوح إلى محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام والبركات واحد. هذا الجوهر ينقلب إلى زيف إذا لم نؤمن بوجهي الجوهر. وجه هو الله الواحد الأحد والآخر هو الناس كلهم من آدم وحواء إلى آخر ذكر وأنثى حتى يوم تقوم القيامة. هم في الحياة الدنيا وفي الحياة الباقية متساوون والفضل بينهم ليس بالدين أو النسب أو اللون أو الجنس

ولكن بتقوى الله. أي العمل الصالح.

لكي نخرج من القفص الذي سجنّا فيه أنفسنا يجب أن تكون القواعد التي ننطلق منها فكرياً في تقييمنا للأحداث والأشخاص والأفكار إنسانية لا دينية أو أيديولوجية. بمعنى أن نطبق على أنفسنا تطبيقاً صارماً آية من آيات الله في سورة الحجرات ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾ (سورة الحجرات الآية ١٣).

وأُورد لأخواننا في الإنسانية آية أخرى من سورة آل عمران كانت العمود الفقري في رسائل سيدنا محمد(ص) إلى زعماء العالم القديم ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤). فقولوا لهم اشهدوا وليس قاتلوهم أو اقتلوهم. الله لم يجعل أي إنسان وكيلاً عنه على الناس بما فيهم كل الأنبياء والمرسلين. فهم أناس بشر مثلنا أكرمهم الله بالهداية والرسالة والنبوة، وهم ليسوا إلا مبلغين ومنذرين فقط لا غير، فما بالكم أنتم وأمثالكم الذين أوكلتم أنفسكم عن الله، وتدعون أنكم تملكون الحقيقة، وما عند غيركم باطل يجب محاربته والقضاء عليه.

المشكلة الكبرى الثانية أننا نشأنا وتربينا على تقديس الأشخاص في الجانبين وطاعتهم، جانب الجبت أو رجال الدين أو مافيا الأديان، وجانب الطاغوت أو المتسلطين المستبدين الأفراد أو مافيا الطغيان الذين يحكموننا ونطيعهم ولا نقدر على محاسبة أي فريق منهم.

فهم آلهة بدون أن يسموا أنفسهم آلهة، لأن الذي يُحاسِبُ ولا يُحاسَب هو الله فقط فقط فقط لا غير. والشرك بالله هو دين الذين لا زالوا في علم الملائكة وهو الفساد وسفك الدماء. فكل الرسل والأنبياء انتهى دورهم بتبليغ الرسالة ووفاتهم وأشرك من جاء بعدهم إلا من رحم الله من الذين لم يرحمهم الجبت والطاغوت، فسجنوا أو عذبوا وحرقوا وقتلوا وصلبوا لأنهم لا يعبدون، أي لا يطيعون، إلا إلهاً واحداً هو الله وليس آلهة الجبت والطاغوت.

بعد أن أصبحنا تابعين أو رعية للجبت والطاغوت، أقصد مافيا الأديان ومافيا السياسة أو الحكم، فإننا أمسينا في ظلمات إسلامات متعددة، منهم واحد فقط هو الإسلام الصحيح وكل ما عداه زيف وباطل وشرك بالله.

الإسلام الصحيح هو دين كل الرسل والأنبياء. وهذا الإسلام طبق في عهد الرسل والأنبياء فقط. لكن بعد وفاتهم، فإن رسالاتهم السماوية انحدرت إلى الأدنى وقسمت إلى عدد من الديانات. فاليهودية الصحيحة هي دين الرسول موسى المسلم المستسلم لله الذي طبق ما أنزل عليه في التوراة، والجوهر فيه هو التوحيد والمساواة. أما بعد وفاة موسى وإلى يومنا هذا، فإن لأتباعه أكثر من دين، وهذا ما ينطبق تماماً على السيد المسيح والمسيحية. أما في الإسلام فإن لدينا إسلام محمد(ص) وهو إسلام كل الأنبياء والمرسلين، ثم أربعة أديان كلها ترفع راية سيدنا محمد ولكن هذه الراية في الأربعة أديان كانت إما مزوية أو مقلوبة أو مطوية أو مزيفة. والجميع وفي كل الديانات استعمل الدين والكتب السماوية مصدر كسب ورزق ووسيلة لجمع المال واكتنازه، مع فارق جوهري هو أن الديموقراطيات الغربية تمكنت من تحييد رجال الأديان كلها.

أول دين إسلامي كان دين القبيلة، وبالتحديد قبيلة قريش التي استأثرت بالسلطة ـ أو الأمر الذي هو شورى بين المسلمين ـ كما أمر الله في كتابه الذي أنزله على رسوله محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام والبركات، والذي أدبه الله وصحح أخطاءه بالوحي وعلمه أن الناس سواسية كأسنان المشط عندما أهمل الأعمى وتصدى بالترحيب بزعماء القبائل **﴿عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزّكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى، فأنت له تصدى، وما عليك ألاّ يزّكّى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهّى، كلا إنها تذكرة، فمن شاء ذكره﴾** (سورة عبس الآيات ١ ـ ١٢)، أو عندما أمر الله بالوحي ابنة عمة الرسول(ص) زينب بنت جحش التي رفضت هي وأخوها طلب الرسول أن يزوجها زيد بن حارثة بحجة أو بسبب أنها شريفة وهو عبد محرر، فتكلمت بلغة إبليس الذي رفض السجود لآدم وعصى الله فأنزل الله على الرسول(ص) **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم..﴾** (سورة الأحزاب الآية ٣٥) وكل ذلك كان تأكيداً لأمر واحد هو المساواة، والمساواة معناها العميق والكبير هو التوحيد، أي أنه ليس هناك أحسن ولا أفضل من الإنسان إلا الله لأنه ليس هناك آلهة. بل إله واحد هو الله.

كل ما تقدم يثبت أن ما حدث بعد وفاة الرسول(ص) من اجتماع المهاجرين القرشيين في سقيفة بني ساعدة بالأنصار فقط من الأوس والخزرج وعدم دعوة بقية كبار الصحابة من غير القرشيين أو الأوس والخزرج، وتهميشهم وإقناع القرشيين للأوس والخزرج بكل وسائل الضغط أنهم أحق بالسلطة منهم، والوصول معهم إلى تسوية تقول: منا الأمراء ومنكم الوزراء.

كل ما تقدم يثبت أن إسلام محمد(ص) وكل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المرتكز على التوحيد والمساواة قد انتكس ولم يعد إسلام الأنبياء الذي أراده الله، بل أصبح إسلاماً يمكن أن نطلق عليه (إسلام القبيلة)، وعاد المسلمون إلى الجاهلية يتميز بعضهم عن بعض ليس بالتقوى والعمل الصالح وإنما بالنسب والقبيلة. لا بل ولم تمض سنوات قليلة حتى ضرب صحابة رسول الله رقاب بعضهم البعض وضربوا بعرض الحائط تحذير رسول الله(ص) لهم في خطبة الوداع أن لا يعودوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، حتى وصل الأمر أن يُكفَّر علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة الزهراء ويُغتال. وأطلق على الذين اغتالوا علياً في الثقافة الإسلامية «الخوارج» وهم أول عائلة مافياوية تستعمل الدين لأغراض سياسية، وتحول دين الإسلام الذي بشرت به الرسل والأنبياء وآخرهم محمد(ص) إلى عدّد من أديان الإسلام، ولكل دين من هذه الأديان حماة اختاروا أنفسهم أو اختارهم الطغيان ليعطوه الشرعية، ولكل دين فروع ولكل فرع حماة. وتفرق الناس وتمزقوا منذ وفاة رسول الله(ص) و إلى يومنا هذا بين دين القبيلة الذي استمر منذ وفاة الرسول(ص) إلى اغتيال علي، وهو ما يطلق عليه في الثقافة الإسلامية الخلافة الراشدة. ثم جاء إسلام أهل السنة وقد ولد وترعرع وكبر وشاخ وعجز وأصيب بداء الخرف وفقد الذاكرة ونسي آيات الله وسننه فأصبح من الخاسرين الفاقدين لأي مناعة ضد أي كان من الجبت والطاغوت الداخلي والخارجي. أصبح كذلك أثناء التعاقب الدموي للإمبراطوريات البيزنطية الأموية والفارسية العباسية والتركية العثمانية. وأخيراً في الدويلات المتهالكة التي نعيش فيها كقطيع من الحيوانات لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً.

وقد تفرع من هذا الدين والمافيا الدينية السنية مذاهب أو عائلات

مافياوية أخرى أشهرها المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية. ومنها تفرعت واخترعت مذاهب منها ما انقرض ومنها ما هو موجود.

واخترع البعض الآخر لهم ديناً هو الإسلام الشيعي أو المافيا الشيعية، وتفرعت منه مذاهب وعائلات مافياوية كما حدث مع العائلات المافياوية السنية.

أخيراً هناك إسلام الطوائف الصغيرة المتشرذمة كالإسماعيلية والبهائية والدرزية والفاطمية والوهابية التي نشرت شرورها أموال النفط كما انتشرت قبلها الفاطمية التي تكاد تختفي الآن. أي أن هناك ثلاث عائلات مافياوية دينية رئيسية تدّعي الإسلام وهي بعيدة عنه منحرفة عن جوهره ولكل منها مذاهبها وفروعها وأطماع رجالها وهي:

١ ـ الإسلام السني.
٢ ـ الإسلام الشيعي.
٣ ـ إسلام الطوائف.

أغلب الرجال الذين ساهموا في قيام الإسلام السني والشيعي وإسلام الطوائف ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾** (سورة الكهف الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤) وجعل هؤلاء الرجال من الدين وسيلة للتكسب والتقرب من الطاغوت الذي حكمنا منذ معاوية وإلى يومنا هذا.

أما إسلام القبيلة أو ما يسمى في التراث الإسلامي «الخلافة

الراشدة»، فمن المؤكد أن حسن النية متوفّر لدى صحابة رسول الله(ص)، وأغلبهم ثقافتهم قبلية جاهلية ولم يستوعبوا الدروس التي لقنها الله سبحانه وتعالى لرسوله(ص) عندما أنزل عليه (عبس وتولى) أو عندما أجبر ابنة عمته على الزواج من العبد زيد بن حارثة خادم رسول الله الذي حرره عليه الصلاة والسلام والبركات عندما أهدته له أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد بمناسبة زواجهما، كما لم يتعمقوا في فهم الآية ١٣ من سورة الحجرات التي تقول ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾. نعم لتعارفوا وليس لتتفاضلوا بالأنساب.

أيها الأخوة في الوسطية، إذا لم نفعل كما فعل الأوروبيون في غرب أوروبا من تحييد للدين والرجوع إلى دين الأنبياء، دين المساواة والحرية ومنع من يطلقون على أنفسهم (العلماء!) من التدخل في حياة الجماعة، فإن المجتمع سيبقى فاسداً معتقلاً في سجون وعذابات مافيا الطغيان أو جهنم مافيا الأديان. وسيهلك الله هذا العالم الظالم الذي يطلق على نفسه العالم الإسلامي وسيستبدل بهم أقواماً تؤمن به وبالإنسان وحريته وبالعدل الذي هو شرع الله.

أيها الأخوة في الوسطية، أريد أن أوجه لأعضاء الوسطية مجموعة من الأسئلة لا أطلب منهم أن يجيبوني عنها، بل أريد منهم أن يوجهوا هذه الأسئلة إلى أنفسهم ويجيبوا هم عنها:

ألم يكن في عهد النبوة وفي عهد الإسلام القبلي (الخلافة الراشدة) وما بعدهما يهود ونصارى في جزيرة العرب؟ وهل أكره الرسول(ص) مشركي مكة بعد الفتح أو يهود المدينة وخيبر أو

مسيحيي ويهود اليمن على الدخول في الإسلام؟ وهل أجبرت جيوش عمر بن الخطاب عبدة النار واليهود في فارس والمسيحيين وعبدة الأصنام في الشام، والأقباط في مصر على الدخول في الإسلام أو تغيير دينهم؟

لقد جرى تحريرهم من الطواغيت فأصبحوا بنعمة الله أحراراً إخواناً كلهم، يعتنقون ما يريدون، ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (سورة الكهف الآية ٢٩). ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾ (سورة الكافرون الآية ٦). ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟**﴾ (سورة يونس الآية ٩٩). ﴿**اتّبعْ ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين. ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل. ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدْواً بغير علم، كذلك زيّنّا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئُهم بما كانوا يعملون**﴾ (سورة الأنعام الآيات ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨). هل إكراه أحد على اعتناق عقيدة أو إقامة شعائر أو تغيير دين يؤدي نتيجة الإقناع نفسها؟ أم أن الإكراه يخلق مجتمعاً خائفاً منافقاً مرائياً كارهاً حاقداً وتعيساً؟ أليس الإقناع يؤدي إلى عكس ما سبق تماماً؟

هل من حق أي إنسان أن يعاقب أخاه الإنسان لمجرد أنه لا يؤمن بما يؤمن به؟ الله لم يعط هذا الحق حتى لرسله وأنبيائه، فكيف نحلل قتل وسلب واحتلال من لا يؤمن بديننا وندعو في المساجد أن يجعلهم الله غنيمة لنا؟

أليس معنى إعطاء الحق لأنفسنا أن نفعل ذلك بهم يعني في الوقت نفسه أن نعطي لهم الحق أن يفعلوا بنا ما هو أكثر؟

ألا يؤدي ذلك إلى إلغاء العقل وهزيمة الإحسان والرحمة، وانتصار الغضب والحقد والقسوة، وتعقيد واستحالة حل مشاكل الإنسان الذي ميّزه الله عن كل الكائنات بأن نفخ فيه من روحه فمنحه بذلك جزءاً صغيراً من صفاته تبارك وتعالى، فأصبح بذلك مقدساً لا يجوز لنفسه أن يظلمها ولا يجوز لغيره أن يظلمه. ومن يفعل ذلك بنفسه أو غيره فقد ضلّ ضلالاً بعيداً؟

أليس القتل والسلب والاستعباد والإكراه باطلاً؟
هل الرد بالمثل باطل؟
كيف نصحح الباطل؟
كيف يمكن أن نتخيل أو نحلم أن الباطل يصحح الباطل؟
هل صفر × صفر= واحد؟
أم الحقيقة الساطعة هي أن صفر × صفر= صفر فقط لا غير؟

أوَليس الباطل يؤدي إلى تكوين دائرة من العنف والعنف المقابل لا يمكن الخروج منها إلا بالجهاد؟ نعم الجهاد، ليس جهاد القتل ولكن جهاد النفس الأمّارة بالسوء؟

أليس جهاد القتال هو تحالف إنساني ضد الظلم والطغيان والظلمة والطغاة بصرف النظر عن دين أو شعارات الظلمة والطغاة؟

ألا نعلم من سيرة رسول الإنسانية، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، أنه كان سيقبل دعوة المشركين له للانضمام إلى (حلف الفضول) الذي كوّنته القبائل ضد الظلم لو أنهم دعوه إلى ذلك؟

ألم يتبع الذين في قلوبهم زيغ، بعد معركة صفين بين جيش علي

كرّم الله وجهه وجيش أول قيصر عربي، معاوية بن أبي سفيان، الذي تكرر عبر التاريخ (الإسلامي) آلاف المرات وبمختلف الأحجام والأشكال إلى يومنا هذا. ألم يتبع أولئك الذين في قلوبهم زيغ آيات القتل الواردة في القرآن الكريم التي ترفعها منظمات وهيئات وتجمعات الإسلام السياسي لقتل الآمنين بمختلف عقائدهم ودياناتهم، فقتلوا أولاً علياً، وتالياً كل من يسألونه فيجيبهم بأنه مسلم؟

ألم يتكرر أولئك الذين أطلقت عليهم الثقافة (الإسلامية) الخوارج عبر التاريخ الإسلامي إلى يومنا؟

الخوارج الذين قتلوا علياً تكرروا عبر التاريخ (الإسلامي) بمختلف الأحجام والأشكال، فخاضوا في دماء الناس الآمنين ونهبوا أموالهم وقتلوا أطفالهم ونساءهم واغتصبوا فتياتهم تحت راية الدين وآيات القرآن الحكيم؟ ونحن نعيش هذه المآسي والفواجع في أفغانستان والجزائر والعراق والصومال.

أليس هؤلاء وأولئك السفاحون والذين في قلوبهم زيغ ومرض هم من اتبعوا ما تشابه من آيات القرآن الكريم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وأحلّوا بها وبه دماء أهل الكتب السماوية والصابئين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإخوانهم من المسلمين المؤمنين.

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة المائدة الآية ٦٩).

ألم يقل الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة الآية ٦٠ **﴿إنما**

الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله، والله عليم حكيم﴾؟

ألم يجمّد عمر بن الخطاب إعطاء الصدقات للمؤلفة قلوبهم الذي أصبح سارياً إلى يومنا هذا، مع أن إعطاء الصدقات للمؤلفة قلوبهم فريضة من الله؟ وهل كان عمر بن الخطاب مارق جاهل فاسق عطّل فريضة من الله فهو والحال كذلك مرتدّ يجب قتله؟ أليس معنى تعطيل هذه الفريضة أن عمر بن الخطاب استوعب أنّ الله أعطى الإنسان حرية الفكر والعمل، وأنّ النصوص القرآنية أنزلت لخدمة الإنسان، ولم يخلق الإنسان لخدمة النصوص؟ ألسنا نحن الآن المؤلفة قلوبهم يتصدق علينا الغرب ليس بالغذاء فقط بل بالعلم والغذاء والكساء والعلاج؟ ألم يذهب أحد كهنتكم الكبار (العيثمين) إلى الولايات المتحدة الأميركية، بلاد الكفر والكفرة وتلقى العلاج والدواء من أيدي الكفرة واستعمل الدواء المصنوع في بلاد الكفرة. وكلكم تفعلون ذلك.

ألم ترتكب عمليات القتل والذبح والتدمير والاستعباد على مر التاريخ الإسلامي منذ عهد عثمان بن عفان، مروراً بمذابح القيصر الأموي الأول ومذابح القيصر الثاني في نجف وكربلاء والمدينة المنورة التي استباحها جيش القيصر الثاني يزيد بن معاوية بأمر قيصري لمدة ثلاثة أيام، كلها قتل ونهب ودمار واغتصاب لألف من عذارى مدينة المصطفى(ص). وكل قياصرة بني أمية فعلوا ذلك ما عدا (عمر بن عبد العزيز)، ثم أكاسرة بني العباس من كسرى الأول السفاح الذي صنع بالأمويين ما صنع الأمويون بغيرهم. ثم جاء دور التتار والمغول الذين فعلوا بالذين يطلقون على أنفسهم مسلمين ما

فعلوه في الشعوب الأخرى من قتل ونهب ودمار واغتصاب. ثم جاء دور قبيلة همجية من آسيا الوسطى تدّعي الإسلام وفعلت بالشعوب في بلاد العرب والشمال الأفريقي ودول البلقان في أوروبا ما يندى له جبين الإنسانية، وكل ذلك باسم الدين والخلافة وتحت راية الإسلام. وأطلقت عليه الثقافة أو التراث الثقافي (الإسلامي) الفتوحات والغزوات الإسلامية فخراً واعتزازاً، ومنها في الوقت الحاضر غزوة نيويورك وكينيا وجزيرة بالي، والحبل على الجرار كما يقول المثل الشعبي. أنسيتم جهيمان الذي تربى في أحضانكم واستولى على بيت الله وحرمه قرابة الشهر في عهد الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده (الأمير) فهد بن عبد العزيز، وتعطل الطواف بالبيت العتيق طوال تلك المدة، ولم يتم القضاء على تلك العائلة المافياوية إلا بمذبحة تمت بأفكار وأسلحة (الكفرة) المسيحيين!؟ ونخص بالذكر منهم الفرنسيين.

أليس كل من ارتكب المآسي والنكبات والقتل والتدمير والسلب والاستعباد والاغتصاب منذ مقتل عثمان، وكل من لحقه إلى يومنا هذا، يقول إنه يريد بذلك ابتغاء وجه الله تعالى وهو في الحقيقة يفعل ذلك من أجل السلطة والمال، من أجل الشيطان؟

هل الدعوة إلى الله وحفظ القرآن والدروس الدينية والتفقه في الدين وسيلة للاسترزاق أم أنها عمل تطوعي، القصد منه هو تقوى الله وليس عرَض الحياة الدنيا، الأمر الذي نراه حولنا في كل مكان في العالم (الإسلامي)؟

لماذا تتسابقون في كل مكان إلى فتح مدارس تحفيظ القرآن وتكريس الجوائز المجزية لذلك بدل التدبر في آيات الكتاب المبين وتوضيح الآيات المحكمات من الآيات المتشابهات، بدل أن نحمل القرآن في

صدورنا كما تحمل الحمير الأسفار على ظهورها لا تفقه منه شيئاً؟ القرآن يحفظه الله ويحميه وواجبنا تدبره والتذكير به.

ثم لماذا تصر المافيات الدينية كلها على كتابة القرآن كما كتب قبل أكثر من ألف سنة، وليس على القواعد الإملائية في اللغة العربية التي تدرس في مدارس العالم الإسلامي؟ ألا تسهّل كتابة القرآن بالقواعد الإملائية المتعارف عليها كل قارئ للقرآن فهمه وتدبره؟

ألا يدل ذلك على أن المافيات الدينية في العالم (الإسلامي) تريد أن يكون كل ما يتعلق بالقرآن من قراءة وتفسير وتدّبر وتذكّر عن طريقهم؟

ثم ألا يدل ذلك على أن جماعة الجبت والطاغوت يعرفون أن القرآن الكريم عدوهم فتدبّره معناه إلغاءهم؟ لذلك فالجبت اخترع للطواغيت، بعد أكثر من مائة وخمسين عاماً من وفاة الرسول(ص)، كتاباً موازياً لكتاب الله اسمه السنة النبوية وهي أحاديث افترتها على رسول رب العالمين تحض على طاعة الجبت والطواغيت، بل بعضها ينسخ آيات كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وتساوت في نظرهم الذنوب بالسيئات التي لا يعرفون أو يتجاهلون معرفة الفرق بينها، وخدّروا الناس على مدى العصور بشفاعة رسولنا محمد(ص) حيث لم يرد نص في القرآن يثبت ذلك، فالشفاعة تتم بإذن من الله لمن يشاء من عباده وملائكته.

إخواني في الإنسانية، إخواني في الوسطية، أنا أحبكم. أدعو لكم ولي بالهداية إلى التوحيد والمساواة. هاتان الكلمتان هما لب وجوهر كل الرسالات السماوية. من آمن وعمل بهما نجا من اليوم الذي لا

ينفع فيه لا شيخ ولا فقيه ولا صاحب مذهب إلا من أتى الله بقلب سليم. تعالوا أيها الإخوة إلى كلمة سواء بيننا أن لا نطيع (نعبد) إلا الله وألاّ نتخذ مشايخنا (الجبت) وزعماءنا (الطواغيت) أرباباً من دون الله. فإن توليتم فإني أسلمت وجهي إلى رب واحد وهو رب العالمين، وأنتم إخواني في الإنسانية أخاف عليكم وأحبكم حتى لو كرهتموني وعاديتموني وأخاطبكم كما خاطب رسول رب العالمين وهو الأسوة الحسنة القريب منه في بلاد العرب والبعيد منه في مصر وبيزنطة وفارس **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** (سورة آل عمران الآية ٦٤).

يا إخواني في الوسطية، تفرغوا إلى العمل المنتج الذي ينتج الرزق والمال الحلال لتساعدوا الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، والذين كفروا والمشركين الفقراء عسى أن نؤلف قلوبهم بدل أن نعاديهم ونحاربهم. ولنكن مبشرين ومنذرين أسوة برسول الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وسلام.

واللهِ لا الأنبياء ولا الصالحون ولا نحن نفصل بين الناس في ما كانوا فيه يختلفون، فيتعادون ويتقاتلون والقاتل والمقتول في النار.

يا إخواني في الوسطية، إنكم تطيعون أشخاصاً مثلكم تطلقون عليهم ألقاباً ـ ما أنزل الله بها من سلطان ـ يستعذبونها ويريدون منكم ترديدها كصاحب (الفضيلة) وصاحب (السماحة) والإمام (الأكبر) وغيرها. أما لقب محمد بن عبدالله فهو فقط نبي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

أنتم تطيعون أناساً مثلكم أطلق عليهم القرآن «الجبت» الذي يقدم خدماته للطاغوت ويتحالف معه. في كل ركن من أركان ما يطلق عليه العالم الإسلامي. هناك عجول من لحم ودم ولها خوار، تتفوق على عجل بني إسرائيل بالسجون والتعذيب والاغتصاب، وتقف بجانبها وتحميها وتضفي عليها الشرعية ووجوب الطاعة وهي المافيا الدينية.

هل يمكن لأحد منكم أو من أشباهكم الذين يستعملون الدين لتحقيق طموحاتهم في شتى أنحاء العالم الإسلامي المتخلف، محاسبة أي طاغوت أو جبت كبير أو صغير أو حتى خدمهم؟ هم كلهم يرتكبون ما يشاؤون من أفعال بدون حساب. الله سبحانه وتعالى فقط لا غير هو الذي يحاسب ولا يحاسَب؟

أنتم بدون شك تحتفظون في مكتباتكم بفتاوى الجبت من أمثال بن باز وابن عيثمين وغيرهما، من مات منهم ومن هم أحياء، والتي هي في نظركم لا يمكن مناقشتها، فهي تأتي، كما تدّعون، قبل كتاب الله الذي يقول عن آياته في كتابه الكريم في الآية السابعة من سورة آل عمران إن في كتابه آيات متشابهات وآيات محكمات، أما فتاوى الجبت فهي كلها محكمات.

إن الذي يطّلع على هذه الفتاوى يضحك ضحكاً كالبكاء، ويمكن تأليف مسرحية كوميدية سوداء من هذه الفتاوى ومن بعض الأحاديث التي افتراها الجبت على رسول الله (ص) وعلى رأسهم أبو هريرة.

تعالوا نقرأ فتوى واحدة فقط أصدرها ابن عيثمين في تحريم اللغة

الإنكليزية وهو الذي عندما مرض مرضاً عضالاً نقب في كل البلاد فما وجد غير أميركا وبلاد الكفار ليتعالج فيها ولكن هل من محيص؟ يقول في فتواه: قال (شيخ الإسلام) ابن تيمية عليه رحمة الله في كتابه «اقتضاء السراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم»، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، ولا يصح لمسلم التكلم بغيره...، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن الدعاء في الصلاة بالفارسية فكرهه، وقال: لسان سوء ولا يصح الحلف بها ولا الصلاة ولا سائر العبادات، وقد روى السلفي من حديث سعيد بن العلاء البرذعي حدثنا إسحٰق بن إبراهيم البلخي حدثنا عمر بن هارون البلخي حدثنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق. ومعلوم أن اعتياد المتكلم بغير العربية حتى يكون عادةً أمر غير مشروع لأنه يورث محبة أهل تلك اللغة من الكفرة وهو مخالف لعقيدة الولاء والبراء من الكفار. قال (شيخ الإسلام) ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد في العقل والدين والخلق. والذي أراه أن الذي يعلّم صبيته اللغة الإنكليزية منذ الصغر سوف يحاسب عليه يوم القيامة، لأنه يؤدي إلى محبة الطفل لهذه اللغة، ثم محبة من ينطق بها من الناس، فليتق الله من يريد جلب هذه اللغة إلى أبناء المسلمين، والله الله أن يضيع ما يعول. اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد. انتهت الفتوى.

كيف لهذا الجبت أن يحرّم الجنة على من يعلم أطفاله اللغة الإنكليزية؟! والله إنها مأساة وتدخّل في مشيئة الله وتكذيب لكتبه ورسله.

* * *

ألا يورث الطغاة والجبت في أكثر بلاد العالم الإسلامي المتخلف أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم؟ أهذه هي الشريعة؟ أما أن هذا فرعون وكهنته؟

ألم تقم جيوش الطغاة الكبار والصغار بعد سقوط الإسلام القبلي (الخلافة الراشدة) على يد الملك المعظم معاوية؟! بالمذابح تلو المذابح منذ الملك يزيد بن معاوية أيضاً وإلى يومنا على يد الملوك وأقرانهم من الطغاة بفتاوى الكهنة الجبت وتحت راية إسلام مزيف كإسلامكم الذي تريدون فرضه بالإكراه الكريه الذي تزينونه وتعطرونه وتطلقون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو في حقيقته نهي عن المعروف وأمر بالمنكر؟

ألا يوجد منذ معاوية وإلى يومنا هذا سيّاف يقطع الرؤوس، وكأن قطع الرأس بالسيف من الدين الذي تنافقون باتباعه بدل اتباع وسائل حديثة أكثر رحمة. هذه الرحمة التي لا تعرفون معناها ولا جزاءها؟ ألا يفعل الطواغيت في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي الغارق في الخلافات والتخلف ذلك وأكثر منه؟ ألسنا أمة من الأنعام يضحّى بنا تنفيذاً لرغبات وأطماع الطغاة بفتاوى من الجبت؟

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.
﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.
﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾
(سورة الكهف الآيات ١٠٣ ـ ١٠٦).

أخوكم ومحبكم الذي يأمل قبولكم به كعضو أو ضيف في (الوسطية) على أساس أن اختلافي معكم ورأيكم في شخصي لا يفسد ولن يفسد محبتي لكم، ودعائي أن يهدينا جميعاً إلى ما يحب ويرضى.

عبدالحق الحر

٢

رأي ناقد عربي

أستاذي الفاضل السيد عبد الحق الحر
السلام عليكم
سعدت برسالتكم، وسعيد أكثر بالتواصل معكم، وأشكر لكم تعزيتكم الصادقة، رحم الله الوالد لقد كان نعم المربي وفضله عليَّ كبير ولا أملك غير الدعاء له بالرحمة والغفران وأحسب أنه يستحق الكثير منهما، فهو ذهب إلى ربه دون أن يؤذي أحداً أو يضار إنساناً في رزقه أو في معيشته وقليل هؤلاء في زماننا.

قرأت مداخلتك وتعجبني شجاعتك، ولكني أجدك تقف على يسار كثير مما أقتنع به من اعتدال ووسطية والتي شوّهت كثيراً ولم تعد وسطية بعد أن لحقها التشدد ونسب ذلك إلى الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام بنقل وتأويل مجموعة مختارة من الأحاديث.

وأعتقد أنني لا أستطيع الإبحار معه بعيداً إلى تلك المساحات البعيدة إذ أحاول أن أتمسك دوماً بما أعتقده ثوابت وفيها اعتدال كافٍ يمكنني أن أعيش مع الجميع، مسلم وغير مسلم، من هو إلى مذهبي ورأيي ومن يختلف عنه. ذلك أنني أعتقد أن الله عزّ وجلَّ خلق للإنسان عالماً واسعاً كبيراً كي يسعنا أجمعين.

أتوقف عند رأيك في الإسلام الخالص، وأعتقد أنه بحث عن المستحيل، بل قد ينتهي إلى ما انتهى إليه «السلفيون» الذين زعموا أنهم يتحدثون باسم محمد(ص) وأنهم أصدق الأتباع في الالتزام الحرفي بتعاليمه، فانتهوا مضيّقين على أنفسهم ثم لما تمكنوا ضيّقوا على من حولهم.

إنني أعتقد بإسلام غني ثري تراكمت اجتهاداته على الرسالة الأصلية في شكل أفكار وإلهامات جعلت من الإسلام ديناً حياً، يعيش بين الناس، «يأكل الطعام ويمشي في الأسواق»، ويبني الدول والنظم والفكر في تسامح. إسلام لا أستطيع أن ألغي أي جزء من أجزائه، ولكن أستطيع أن أختار منه ما أعتقد أنه حق بعلمي أو بسؤال أهل الذكر دون أن ألغي الآخر وعلم الآخر. إسلام ممتد في حضارته من الأندلس إلى دلهي، وبالتالي لن يكون صورة واحدة في تفاصيله ولكنه تعبير عن الأصل الواحد.

ولكن تنهار هذه الصورة الجميلة عندما يحاول طرف أن يفرض ما يعتقده حقاً خالصاً على الآخر. حينها تظهر ما وصفته بـ «مافيا الأديان»، ولو توصلت في سعيك إلى ما تعتقد أنه الإسلام الخالص وحاولت فرضه على الآخرين فتكون قد وقعت في ما حذرت منه. أما فيما إذا توصلت إلى ما سنّه المصطفى في حجة الوداع حينما

قال لكل من فعل شيئاً من أفعال الحج وسأله فيه «افعل ولا حرج»، فتكون حينئذٍ قد دعوت إلى الدولة الإسلامية المتسامحة التي تجمع ولا تفرق ويسمونها الآن «الدولة الديموقراطية القائلة بحرية العبادة» والله أعلم.

عذراً للإطالة وقد تحولت رسالتي إلى مقال.

مع خالص التقدير

أخوكم: ج.ع.ب

٢

الرد على ناقد عربي

أخي في الإنسانية الأستاذ ج. ع. ب.
أنا أقيم في بلد من بلدان الحرية والمساواة وحرية المعتقد والدين، فالكنائس المختلفة المتخالفة والمساجد المختلفة والمتخالفة والمعابد اليهودية المختلفة والمتخالفة ومعابد مختلف الديانات والعقائد غير السماوية. كلها متعايشة مع بعضها البعض في المدينة التي أقيم فيها فيما عدا قلة (مسلمة!) التجأت إلى هذا البلد الذي أقيم فيه وأحمل جنسيته من غرب أوروبا من المافيات السياسية في بلدانها الأصلية فأووها ومنحوها الطعام والسكن والأمن والسلام، هذه القلة تكفر وتعمل على تقويض هذا المجتمع الإنساني!.

أما بخصوص رأيك في مداخلتي للأخوة في الوسطية، فأعتقد أنك استنتجت أموراً يستحيل أن أعنيها. وبالنسبة لما جاء في رسالتك من

قناعات ومسلّمات أنت تؤمن بها فهذا حقك الطبيعي الذي لا ينازعك فيه عاقل. ولكن - في رأيي - يجب أن لا تكبلنا القناعات والمسلّمات وتأسرنا، فالرسل والأنبياء والصالحون المصلحون أتوا لفكّ أسر الناس من قيود وأصفاد القناعات والمسلمات التي ورثوها وتشربوها من المجتمع الذي يعيشون فيه، فليس هناك - في رأيي - مسلمات مطلقة غير الحق والحرية، (فالحق حق مطلق هو الله، والحرية حق مطلق لكل البشر) كما قال أحد الفلاسفة المفكرين.

أنا لا أطلب من أحد أن يكون مثل الأنبياء والرسل. الذي أطلبه وأبشر به الإيمان والقناعة بأن كل إنسان مساوٍ للآخر والفرق بينهما بالعمل وليس بالنسب والجنس (ذكر أو أنثى) أو الدين أو الإيديولوجيا، وأن منطلقاتنا الفكرية في مخاطبة الآخر يجب أن تكون إنسانية. وهذا مطبق في الدولة التي التجأت إليها وحصلت على جنسيتها، وكل دول أوروبا الغربية والشرقية المنضمة حديثاً إلى الاتحاد الأوروبي، وبهذه المخاطبة الإنسانية لا الدينية أو العقائدية يكون العالم واسعاً كبيراً ويستوعبنا جميعاً.

أما عن الإسلام الذي تقول ويقول كل من ينطلق في توجهاته من منطق ديني، إن حضارته امتدت من الأندلس إلى الهند، فهذه ليست حضارة إسلامية – في رأيي - وإنما حضارة غزاة عرب رفعوا علماً مزيفاً للإسلام. لذلك يجب علينا دائماً عدم ربط الدين بأي شيء. فالدين أمر شخصي وهو في نظر معتنقه صحيح ١٠٠٪ وأي عمل إنساني يحتمل الأخطاء الفادحة والفواجع والمآسي والشرك والكفر، وهذا ما فعلته وتفعله (حضارات) الجبابرة والمتكبرين. (والحضارة) العربية التي ارتدت عباءة الإسلام النظيفة ١٠٠٪ فلطختها بالدماء والفساد والقاذورات، لا تخرج عن هذا التوصيف،

لا بل إن هذه الحضارة التي تطلق عليها إسلامية اضطهدت الفكر والمفكرين وعذبتهم وقتلتهم(*).

أما ما ذكرته عن إسلام غني ثري تراكمت اجتهاداته على الرسالة الأصلية في شكل أفكار وإلهامات جعلت من الإسلام ديناً حياً، فأنا أختلف معك في هذه النقطة أشد الاختلاف. هذه الاجتهادات والتراكمات والإلهامات تمت كلها في عهود الطغيان وتقويض دين المساواة وحكم واجتهادات وإلهامات وأفكار الجماعة، إلى دين توسع فيه المجتهدون والفقهاء والملهمون الأفراد (زعماء المافيات الدينية) في فقه الشعائر وفقه المعاملات. أما الفقه الدستوري، أي علاقة الجماعة بالحكم، فهو أمر محرم الاقتراب منه. ومن تسول له نفسه من المفكرين مناقشة هذا الأمر فعليه تنزل عقوبة الردة وهي القتل، والتي أوجدتها من العدم المافيات الدينية نفسها المتحالفة مع المافيات السياسية ولا تمت لأي دين بأية صلة، معتمدة في ذلك على حديث نبوي! يقول: «من غير دينه فاقتلوه». وهذا مضحك جداً، فماذا نفعل بالمسيحي الذي يغير دينه إلى الإسلام؟ إن هذه العقوبة ما زالت تطبق في بلدان إسلامية كثيرة تحكمها وتتحكم فيها المافيات الدينية والسياسية. فهناك السجن والتعذيب والقتل وتقطيع الأطراف وحرق العيون وتقطيع الألسن، ووصل الأمر في العهود الماضية أن يقطع (المرتد) إرباً أو يشوى على النار وهو حي إلى أن يموت. أما في العصر الحديث وبسبب التقدم العلمي!! فإن المعارض (المرتد باللغة القديمة) يذاب حياً في الأسيد فلا يبقى منه شيء.

(*) لمراجعة الموضوع بالتفصيل يمكن للقارئ الاطلاع على: «تاريخ الطبري» أو أي من الكتب المعروفة بأبحاث التاريخ.

هذا غيض من فيض كتب تاريخ (الحضارة الإسلامية!)، حضارة المافيات الدينية والسياسية. وكل نتاج هذه الحضارة باطل باطل باطل، لأنه قام على أسس باطلة هي الاستبداد والطغيان وحكم الفرد المؤلّه والفقيه الذي اختار نفسه أو اختاره الطغيان ولم تختره الجماعة. فالفقه أو التشريع أو الاجتهاد هو من لدن مؤسسات اختارتها الجماعة ومن حقها تغييرها.

ليس هنا أو هناك شرك ظاهر وشرك خفي. الشرك شرك **﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾** (سورة يوسف الآية ١٠٣)، **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** (سورة يوسف الآية ١٠٦)، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ولا ينبغي أن نتكل على فتاوى وأقوال رجال الدين (المافيا الدينية) أو نطيعهم ونطيع قادة وزعماء العالم العربي والإسلامي الذين يحاسبوننا ولا نقدر على محاسبتهم أو تغييرهم. فهذه الطاعة (العبادة) هي الشرك بالله كاملاً غير منقوص **﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾** (سورة العلق الآية ١٩). أعاذنا الله من أقوال وفتاوى زعماء المافيات الدينية وأوامر زعماء المافيات السياسية. أخيراً، أشرت في خطابك أنك تسأل أهل (الذكر)، يا أخي أهل الذكر توفاهم الله منذ آلاف السنين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وآخرهم النبي والرسول محمد عليه الصلاة والسلام. فنصوص القرآن العديدة تقول وتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أو التأويل، أن الذكر هو الوحي وأهل الوحي هم الرسل والأنبياء. أما هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ويدعون وندعوهم بأهل الذكر خسئوا ولعنة الله عليهم. فهم ليسوا إلا جبتاً متحالفين مع طواغيت رسّخوا في أذهاننا وأذهان آبائنا وأجدادنا أنهم أهل الذكر. ثم يا أخي كيف تسأل بشراً مثلك فيحلل لك ويحرم؟ هل ستأخذه بيده يوم الحساب وتقف وتقول إن الذي استفتيته

هو هذا الذي بيدي والذي دعوته أهل ذكر، وهو الذي حلل لي أو حرّم!!؟ يا أخي جوابك هذا ليس مقبولاً حتى في الحياة الدنيا فكيف بالآخرة؟ أنت يا أخي إنسان مثلك مثل كل إنسان تعرف بالإلهام الذي وضعه الله فيك عندما نفخ فيك من روحه المقدسة ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ وتعرف بغريزتك الإنسانية الخطأ من الصواب، ولكنك ـ لا أقصد أنت بالذات ـ تريد ارتكاب الخطأ لأنه يتفق وهواك ورغباتك وتريد من يفتي لك أن الخطأ صواب والحرام حلال، وهذا ظلم للنفس.

إليك بعض الآيات عن الذكر في القرآن الحكيم: ﴿**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٨). ﴿**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون**﴾ (سورة الأعراف الآية ٦٣). ﴿**وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ (سورة الحجر الآية ١٦) ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (سورة الحجر الآية ٩) ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رجال نوحي إليهم، فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (سورة النحل الآية ٤٣)، وفي هذه الآية يخاطب الله المؤمنين أن يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام إذا جهلوا شيئاً أثناء بناء الرسالة، أما بعد أن ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ (سورة المائدة الآية ٣) فلا وجود لأهل الذكر فكلهم عند الرفيق الأعلى الذي طهرهم وأكرمهم بالنبوة والرسالة والذكر.

وأخيراً اسمح لي بأن أقول لك بأن الأمبراطورية (الإسلاموزنطية) التي أشرت إليها في ردك بكثير من الإجلال: «إسلام ممتد في حضارته من الأندلس إلى دلهي»، انتهت غير مأسوف عليها على

يدي جنود هولاكو، وهو ما لم يكن ليحدث لولا قيام هذه الامبراطورية على الاستبداد. لقد تهاوت تلك الأمبراطورية بسرعة عجيبة استجابة لسنّة الله التي لن تجد لها تبديلاً: ﴿**وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً**﴾ (سورة الكهف الآية ٥٩).

هذه بعض من قناعاتي في هذه السطور التي يمكن أن تتغير. الشيء الوحيد الوحيد الذي لا ولن يتغير في قناعاتي إلى أن أموت، هو الإيمان بالله الواحد الرحيم ويوم الحساب. وأن أي إنسان على هذه الأرض مساوٍ لي وليس لي علاقة بمعتقداته. علي فقط بمعاملته.

أخوك المحب:

عبد الحق الحر

الفصل السابع

الآمرون بالمنكر

١ ـ «الطريق باتجاه واحد» هو عنوان لفكرة طرأت لمفكر عربي فيما لو ذهبت شخصيات إسلامية مرموقة إلى اليابان في مؤتمر دعت إليه المفكرين والساسة ورجال الاقتصاد والمال في اليابان لدعوة اليابانيين ـ أغلبيتهم لا دينية ـ للدخول في الإسلام، ماذا جرى؟

٢ ـ اعترافات رجل نجّاه الله من شرور المافيات الدينية النجدية السعودية وكيف استولوا على عقله فغسلوه وانتهى الأمر عندما وثقوا أنه عضو لا شك في ولائه وطاعته أن يقوم بعملية قتل إنسان مخالف لهم تحت عنوان (تجربتي مع المطاوعة في الرياض) حصلت عليها من أحد المواقع على الإنترنت التي تحارب التطرف في دول الخليج.

٣ - وتحت عنوان (عندما يصادرون الورد) تعبر كاتبة خليجية أو كاتب خليجي عما يحدث في يوم عيد الحب من إعلان المطاوعة(*) لحالة استنفار قصوى وتحويل ذلك اليوم إلى عيد للكره ومصادرة الورود الحمراء وقفل محال الهدايا التي تبيعها وسجن أصحابها وإذا استدعى الأمر جلدهم على يد أفراد المافيا الدينية.

(*) هيئة حكومية في المملكة السعودية يطلق عليها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعروفة شعبياً باسم «المطاوعة»، وهي ذات سلطة قضائية وتنفيذية في ذات الوقت ولديها سجونها الخاصة، ولا تخضع لأي قانون يضعها تحت طائلة المساءلة متميزة في ذلك عن جميع الهيئات والمؤسسات الحكومية في السعودية.

١

الطريق باتجاه واحد!

تمَّ عقد مؤتمر مصيري في اليابان حول التعريف بالإسلام، حيث اجتمعت في صالة المؤتمرات الضخمة في طوكيو شخصيات يابانية علمية وسياسية مرموقة، واجتماعية ذات مناصب ورجال أعمال ورؤساء شركات عملاقة وبعض الوزراء ورجال الدين السنتي والكونفوشيوسي. جلس الكل يستمعون بإنصات إلى المحاضرات التي ألقاها الوفد الإسلامي القادم من الشرق الأوسط للتعريف بدين الإسلام. وخلال ثلاثة أيام متلاحقة من المحاضرات المكثفة المملوءة بالحيوية والحماس تمَّ استعراض عدالة الإسلام ومكانة المرأة وفكرة الحاكمية ونظام الشورى والتربية الروحية والحرية الفكرية في الإسلام. كان اليابانيون يهزون رؤوسهم في كل مرة بالاستحسان والإعجاب. وفي نهاية المؤتمر تمَّ توزيع كتيبات صغيرة تعرِّف بالإسلام وشروط دخوله وكيفية النطق بالشهادتين وأركان الإسلام الخمسة.

كان كل شيء يمشي بهدوء لولا أن قطع جو الاستحسان سؤال تقدم به أحد المفكرين اليابانيين فقال: قرأت في نهاية الكتيب حكماً لم أفهمه على وجه الدقة! وبدا لي فيه شيء من الغرابة واللاعقلانية؟

أجاب رئيس الوفد الإسلامي: تفضل بسؤالك يا أخ (سوموتا ــ كيم سونج)، فالإسلام مبني على العقلانية وحرية الفكر، والتفكير فريضة إسلامية، فلا نرضى من أحد من الأخوة اليابانيين الراغبين في الدخول في الإسلام بأقل من القناعة الكاملة.

(الياباني) مستفسراً وعلى وجهه علامات التعجب: تشترطون للدخول في الإسلام أن الذي يدخله يلتصق به إلى الأبد فلا خروج منه ولا فكاك ولا طلاق، وكأنه طريق باتجاه واحد إلى الأبدية لا عودة منها. ولكن هبْ أنني أردت أن أغير رأيي لسبب أو آخر؟ فالطريق عندكم باتجاه واحد كما يبدو لي. هل فهمت هذا الشرط بشكل صحيح؟

(رئيس الوفد الإسلامي) بشيء من حس الدفاع: نعم أيها الأخ، الشيء الذي فهمته صحيح لسبب بسيط، فالذي يدخل الإسلام ويعتنق هذا المبدأ العظيم، لا يمكنه أن يجد أفضل منه بحال من الأحوال. فنحن أجرينا له عملية اقتصادية موفرة للجهد إلى أبعد الحدود. لذا لا يقبل الإسلام بالردة: أي الخروج منه، ولقد جاءت النصوص صريحة في هذا، إنه ليس رأيي بالذات، بل هو حكم الله المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. تنزيل من حكيم حميد.

(الياباني) محتداً:

ولكن هذا الشرط يقوم على حكم غاية في الصرامة. فالذي يحاول

الخروج منه لسبب أو آخر مهدد بالقتل؟! هل فهمت هذا الأمر بشكل صحيح؟

(رئيس الوفد الإسلامي) وبشيء لا يخلو من الارتباك: اسمح لي يا أخ مومونا أن أشرح لك الموضوع حتى لا تقع في الحرج والخوف، نعم يقتل المرتد الذي يخرج من الإسلام بعدما اعتنقه، لأننا نعطيه كامل الفرصة لدراسة الإسلام من كل الوجوه، فيجب أن يتحراه تماماً قبل دخوله. ألا تفعلون الشيء نفسه في السوبر ماركت حينما يشتري الإنسان البضاعة فيكتب صاحب المحل: البضاعة التي تشترى لا ترد ولا تبدل. فالإسلام هكذا صفقة تمت وانتهت بعد تحر كامل ووثيق لـ«بضاعة» الإسلام.

(ياباني آخر يتساءل) ويلتفت لمن حوله: ولكن هذه بضاعة وليست ديناً أعيش به ما حييت. فبإمكاني أن أتلف هذه البضاعة، لا أستخدمها، أعطيها لآخر، أما هذا الدين فإنني أتلبس به!! فلا يمكن أن أعلن خروجي عنه بحال من الأحوال إلاّ بخروجي من الدنيا.

(رئيس الوفد) بشيء من التبرير: أيها الأخ الفاضل، نحن بهذا الإجراء نريد قطع الطريق أمام من يريد التلاعب بالدين، فهناك أناس يريدون أن يتظاهروا بالإسلام كما حصل في صدر الإسلام، حينما استخدم اليهود هذا التكتيك لصرف الناس عن الإسلام وذكر القرآن ذلك ﴿**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره لعلهم يرجعون**﴾ (سورة آل عمران الآية ٧٢). فعندما يُظهر رجل الحماسة للإسلام ويعتنقه، وبعد فترة قصيرة يبدأ في ترويج الشائعات فيقول مثلاً: إنني بعدما دخلت في هذه الجماعة واعتنقت دينها تبين لي كذا وكذا من

الأخطاء والقباحات، فإنه بترويج هذه الشائعات يقوم بعمل تخريبي مضاعف ضد الإسلام، فهو من جهة يصرف الآخرين عن الدخول في الإسلام فيجهض انتشاره، كما أنه، ثانياً، يزعزع إيمان الكثيرين ممن دخلوا في هذا الدين، فيبدأون في التفكير بالخروج منه وبصراحة. لذلك قام الإسلام أمام مثل عمليات التخريب هذه، ودفاعاً عن ذاتيته، بإجراء دفاعي حاسم لقطع الطريق على مثل هذه المحاولات. ولذلك فالذي يريد أن يتلاعب فيدخل ويخرج منه متى ما يشاء كان عقابه الموت بقطع الرقبة حتى لا يفكر أحد بالتلاعب بالدين بعد ذلك. فهذا الإجراء ليس ضد الفكر وحرية العقيدة بل ضد عمليات التلاعب بالدين كي يؤخذ الأمر مأخذ الجدية، وهذا ما فعله الإسلام لاحقاً حينما قتل أهل الردة وجماعة من عربنة.

(ياباني ثالث) يهز رأسه نفياً وهو غير مقتنع بالإجابة: ولكن تلك الظروف غير ظروف العالم اليوم. والمسلمون اليوم يعدون فوق المليار، ولا يمكن لمثل هذه الأساليب التأثير في عقول شعوب وأمم تشربت الإسلام. كما أن هذا الإجراء على كافة الأحوال يهدد حرية الاعتقاد دخولاً وخروجاً، وأنا سمعت عن دينكم من بعض المفكرين غير المشهورين أنه لا يوجد إكراه في الدين، وذلك في نص القرآن، إذ يحق للإنسان أن يؤمن متى ما يشاء ويكفر متى ما يشاء، ويحق له الدخول في أي دين والخروج من أي دين في أي زمان أو مكان تحت أي ظرف، فماذا تقول؟

(رئيس الوفد) بصرامة: النص صريح. نحن لسنا متعطشين للدماء بقدر إقامة شرع الله. فلا يقتل المرتد فوراً بل هناك عملية استتابة، فإن تاب وتراجع عن الكفر ترك وإن أبى إلاّ ترك الإسلام واعتناق الكفر يقتل.

(ياباني من مؤخرة القاعة) بشيء من الاستغراب: ولكن هب أنني تظاهرت بأنني لم أخرج عن الإسلام أو تبت حسب مصطلحاتكم وأنا أبطن؟ فتكونون قد حولتموني بهذه الطريقة إلى ما هو أقبح من الكفر وهو النفاق، فالمنافق هو كافر مكثف خبيث مختبىء تحت الأرض. ألم يكن أنفع لكم وأجدى أن أظهر الكفر علناً بدل أن أخفي النفاق مثل الجمر تحت الرماد، أو الأفعى المتظاهرة بالموت تحمل السم القاطع باللدغ المفاجئ، ونحن حسب التقنية الراقية الموجودة في مختبراتنا الطبية نخاف من الجراثيم المختبئة المعروفة باللاهوائية، فهي أخطر بما لا يقارن من الباكتيريا التي تعيش في الضوء والهواء وعلى السطح علناً. فماذا تقول يا سيدي؟

رئيس الوفد الإسلامي: الرأي ليس رأيي كما قلت لك، بل هو رأي رب العالمين، فهذا ما قاله الحديث الصحيح. ثم لم أفهم سبب تركيزك المبالغ فيه على هذه النقطة بالذات، وبهذا القدر من الكثافة، وتغض النظر عن كل محاسن الإسلام التي شرحناها لكم.

ياباني آخر من مجلس الدايت (البرلمان الياباني) بقوة ووضوح: السبب بسيط، لأن هذه القضية مصيرية ومتعلقة بحرية اعتناق العقيدة التي سُفك لها من دماء البشر ما لا يحصى ولا يعدّ، حتى حققت البشرية هذا المكسب في حرية الرأي وحرية العقيدة اعتناقاً وتركاً، وبنينا مؤسساتنا الديموقراطية بأنهار من الدموع والعرق، فأنتم بهذا الاتجاه الفظيع قطعتم الطريق أمام حرية الضمير عند الإنسان. ولكن مع هذا يبقى عندي تساؤل في اتجاه النص نفسه الذي تتسلح به وتحتكر الحقيقة الإيديولوجية لنفسك: تقول إن النص يقول هكذا، ولكن من خلال اطلاعي البسيط على القرآن رأيت أن دينكم واضح في هذه النقطة، بل هو يعلن مبدأ عظيماً هو: ﴿لا

إكراه في الدين﴾. الإسلام ينفي كل صور الإكراه والإلزام والضغط والفرض في أي دين أو مبدأ أو مذهب، خروجاً ودخولاً، إذ إن صور الإكراه متعددة فمنها الإكراه على اعتناق دين، ومنها الإكراه على عدم ترك دين أو الخروج منه.

رئيس الوفد (بشيء من التفاخر والاعتداد بالنفس): نعم لا يوجد في ديننا أي إكراه، فنحن لا نكره أحداً بالقوة أن يدخل في ديننا، ولكننا نغلق عليه الطريق إذا أراد الخروج.

سيدة يابانية من المقدمة: هل أعتبر هذا مثل المصيدة أو السجن للذي يأتي فيدخل الإسلام، إذ يسمح له بالدخول ويمنع عليه الخروج؟! إنها أشبه بالنكتة، أليس في هذا مصادرة للرأي وحرية الاعتقاد ـ لأن الترك آخر الاعتناق، والخروج صنو الدخول؟ ولكن ماذا تفعل بهذا النص القرآني الواضح **﴿لا إكراه في الدين﴾** الذي جاء به الإسلام في وقت مبكر من التاريخ الإنساني، قبل أن يعلنه فولتير بصرخته (اسحقوا العار) حينما قال: قد أختلف عنك تماماً بالرأي، ولكنني مستعد أن أموت من أجل أن أدعك تعبّر عن آرائك، وقبل أن تتبناه الديموقراطيات الحديثة. كما أنني فهمت من قرآنكم أن ما يسمى الجهاد تم تشويه فكرته، فأصبح لفتح البلاد وتدويخ العباد وليس للدفاع عن المظلومين وحماية الإنسان من أجل التعبير عن رأيه، من خلال إنشاء حلف عالمي لحماية المظلومين والمضطهدين سياسياً، حيث يهرب كل اللاجئين السياسيين إلى دار الإسلام، ولا يأتون إلينا كما هو الحال اليوم حيث معظم الهاربين السياسيين هم من العالم الإسلامي بحكوماته الإسلامية وغير الإسلامية. فالجهاد لم يشرع عندكم لنشر الإسلام بحال من الأحوال، ولكن من أجل منع الفتنة أي الحفاظ على حرية العقيدة

والرأي. فهذا النص ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ والنص الآخر الذي لا يقل التماعاً وروعة والذي سحرني أنا اليابانية ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (سورة الكهف الآية ٢٩) وكذلك الآيات العديدة التي تذكر ﴿**من آمن ثم كفر**﴾ كلها تبين أن المرء لا يقتل حتى ولو دخل الإسلام وخرج مرات عدة ﴿**إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً**﴾ (سورة النساء الآية ١٣٧). فهو حسب النص الذي تتسلح به وتحتكر الحقيقة لنفسك، لم يكن بمقدوره أن يكفر للمرة الثانية لو أزهقت روحه أنت وجماعتك بعد كفره، في المرة الأولى.

(رئيس الوفد) بشيء من التضايق: هل تريدين أن تعلميني ديني أنا الذي جئت ألقنك أبجدياته؟ القرآن يا قوم عام، والحديث خاص يوضح ملابسات الكلام العام، ولذا كانت الأحاديث واضحة في قتل المرتد.

(ياباني من جامعة ناغازاكي) سائلاً: ما هذه الأحاديث المزعومة التي تهدم أصلاً عظيماً في قرآنكم؟

رئيس الوفد (وابتسامة خفيفة على وجهه وشعور بالقوة والاطمئنان بادٍ على محياه): أول دليل يفقأ العين قتال المرتدين، حيث كانت حادثة مروعة قتل فيها الآلاف وليس أفراداً متناثرين، فكانت بمثابة الظاهرة الاجتماعية المزلزلة. الخلفاء الراشدون عندما رأوا الأعراب يتركون الإسلام قاتلوهم مباشرة لإدخالهم مرة أخرى بقوة السيف في الإسلام، بموجب أحاديث واضحة من مثل (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث: قتل النفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق

للجماعة) وحديث (من بدّل دينه فاقتلوه)، وحديث (أهل عربنة الذين جاؤوا للعلاج في المدينة فلما ارتدوا وهربوا بالإبل لم يكتف الرسول (ص) بقتلهم بل سمل عيونهم وقطع أطرافهم). فهل تريدون أدلة ميدانية أقوى من هذه.

ياباني (متخصص في دراسة الأديان المقارنة) يعقب بشكل طويل: مع أنني غير ضليع بعلم الحديث الذي تستشهد به، فقد حللت هذه الأحاديث بدراسة مستقلة واستنفرت بعض المفكرين فعلمت أشياء غريبة، منها أن الحديث لا يبلغ في القوة، مهما بلغ، درجة أن يهدم ركناً هاماً من الإسلام مثل مبدأ عدم الإكراه. فالنص القرآني هو المرجع النهائي عند الخلاف. وإذا جاء نص من الحديث يخالف النص القرآني صراحة، بشكل يقطع الطريق على المفهوم القرآني، يلغيه بشكل آلي. ولهذا، عندما تقول الآية إن مبدأ الإكراه ملغى جملة وتفصيلاً، فلا يعود يستخدم ضد أي إنسان، ويجب تحييد الجسد وعدم تعذيبه لإجباره على اعتناق مبدأ ما، أو التعلق به بالقوة. كذلك أباح القرآن على حد علمي عكسه تماماً، فعند استخدام القوة ووجود الخطر، يمكن للإنسان التظاهر بالكفر مع الاحتفاظ بالإيمان سراً **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾** ريثما تنجلي الأزمة. إن ثقة القرآن بالضمير لا حد لها، فهو يحترم العقل والإيمان والقناعة، ويحميها، والإسلام لا يجبر في ثلاث حالات:

١ ـ لا يجبر على الاعتناق بالقوة.

٢ ـ لا يجبر على الترك بالقوة.

٣ ـ كما لا يجبر على الاحتفاظ بالقوة.

فهو يريد تحييد الجسد بالكامل في لعبة القناعة. ويراهن على أن العاقبة في العقل والقناعة، وليس في أساليب القهر والإكراه التي

تحمل فشلها سلفاً وضمناً باتباعها هذا الأسلوب، لأن طريقة الإقناع غير مرتبطة بالقوة بل بالفهم والاقتناع. فهناك فرق كامل بين القوة والفكر. وبهذه الطريقة تمّ إلغاء كل هذه النصوص التي اعتمدتها يا سيدي. وأريد أن أريحك أكثر ومن خلال النصوص التي استخدمتها: إن مشكلة النصوص تكمن أيضاً في التفسير والاستخدام الصحيح لها. فالنص الذي استخدمته (من بدّل دينه فاقتلوه) هل تريد مني أن أفهم منه أن المسيحي يقتل أيضاً فيما لو بدل دينه فأراد اعتناق الإسلام مثلاً، فنغلق الطريق إلى الدخول في الإسلام الذي نصّبنا أنفسنا للدعوة له، فأصبحنا أعداء له من حيث لا نشعر؟ شيء رهيب أليس كذلك؟! أي أن مبدأ (الطريق الواحد) ساري المفعول لكل الأديان، فتصدر بلاغاً أن وضع الدين يأخذ صفة الجينات الوراثية التي لا ينبغي التلاعب فيها بحال من الأحوال. لا يا سيدي، حتى الجينات نحاول أحياناً التدخل لتغييرها في حالات الأمراض الوراثية. أما حسب مفهومكم فكل ذي دين يجب أن يحافظ على ديانته، وكل صاحب مذهب يجب ألا يبدله، فهي أمور ختم عليها بالشمع الأحمر إلى يوم القيامة بغير رجعة، وممنوع التفكير فيها تحت طائلة قطع الرقبة بجريمة الردة؟! أليس في هذا مصادرة كاملة لكل الخيار الإنساني وإنشاء مجتمع تحت العباءة الإسلامية أحادي التفكير ديكتاتوري الصبغة، منافق الصفات، خائف على نفسه، منحبس عن التفكير في أي حركة عقلية خوف الانزلاق باتجاه (إنكار معلوم من الدين بالضرورة) لا ضمانة فيه لأي إنسان أن يغير رأيه مع أن الإنسان في حالة صيرورة لا تتوقف، وهي حركة تجمد وتوقف في الزمن؟
ثم إن حديث أهل عرينة الذي استندت إليه راجعناه وعرفنا أن المسألة مختلفة تماماً عن الطريقة التي عرض فيها الحديث بصورة حملت الإسقاطات والإكراهات الفكرية التي تحملونها. فهؤلاء

قتِلوا لأنهم قتلوا وليس لأنهم غيروا رأيهم. ألا ترون يا قوم أنكم تسيئون إلى دينكم ونبيكم، إلى درجة أنكم أصبحتم ليس نوراً لنشر الفكر، بل فرامل (كابحاً) لإعاقة الحركة العقلية، وأن دينكم بات كرجل خائف من نفسه فيريد المحافظة على أتباعه بأي ثمن ولو تحت التهديد بالقتل، مثل جماعات المافيات؟! إن أهل عرينة استاقوا الإبل وقتلوا الناس وهربوا، وبعد كل هذا كانت ردتهم وإنكار الإسلام منهم تحصيل حاصل، فكان موقف الرسول (ص) منطقياً في معاقبة مجموعات من القتلة الخطرين، في ظل مرحلة تاريخية، وهو الذي يفعله قانوننا أحياناً تجاه المجرمين. ولكن عرضكم شوه الصورة وقلب الموضوع، بحيث لم تعودوا تخدمون مبادئكم بشكل منطقي وعقلاني وإنساني منفتح، فأصبحتم أعداء مبادئكم من حيث لا تشعرون.

وأما حديث قتل (التارك لدينه المفارق للجماعة) فواضح أن المقصود فيه الذي انقلب على الجماعة وتآمر عليها وساعد أعداءها، وهو ما فعله المرتدون أيضاً بإعلان العصيان المسلح. وذلك يقودنا إلى ظاهرة المرتدين ومعالجتها في صدر الإسلام. ومرة أخرى نشعر هنا أنكم تقرأون تراثكم بعيون الموتى. دعني يا سيدي أضرب لك مثلاً معاصراً في هذا الموضوع لأقرب لك حيثيات البحث: لنفترض أن الدولة طالبت أهل مدينة ما بدفع الضرائب فامتنع أهلها عن ذلك، بل قتلوا الشرطة التي جاءت لتحصيلها، وباشروا ثورة مسلحة ضد الدولة، يعلنون فيها عدم استعدادهم لدفع الضرائب. ماذا تفعل الدولة في موقف كهذا حيالهم! تأمل تعليل أبي بكر الصديق (ر) لمقاتلة المرتدين، حينما أصرَّ على (عقل بعير) أي تحصيل الضرائب منهم، فهو لم يقاتلهم بسبب تغيير آرائهم أو تركهم للإسلام بل بسبب مهاجمة المدينة وقطع الطريق ونهب القوافل واستباحة

الحرمات وقتل العباد والإفساد في الأرض. وأريد أن أضيف إلى هذا أن علياً (ر) حينما قاتل الخوارج لم يقاتلهم لأنهم غيروا رأيهم وبدّلوا دينهم، بل وضح رأيه فيهم عندما سئل عنهم: أكفار هم؟ أجاب: من الكفر فروا. قالوا سائلين: يا أمير المؤمنين، أوَ منافقون هم؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً، وأولئك يذكرون الله كثيراً. كرروا سائلين: فما تقول فيهم إذاً؟ أجاب في قولته الشهيرة التي تعتبر من درر الحكم وقواعد التعامل الإنساني في قانون مزلزل في العلاقات: ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه!! ففي هذه الجملة حدد علي(ر) مجموعتي الانحراف في المجتمع الإسلامي. الأولى هي البيت الأموي الذين تمنوا الباطل ووصلوا إليه، أما مجموعة الانحراف الثانية فنعني بها الخوارج. كان الأمويون انتهازيين أذكياء وكان الخوارج مخلصين بسطاء ينقصهم الوعي. أما الكارثة الأموية فحدثت بفعل هشاشة المجتمع الإسلامي، وحنكتهم القيادية السابقة في التآمر ضد الإسلام بدءاً بتخطيط معركتي أحد والخندق وانتهاء بالتآمر الدولي إلى بلاط النجاشي، وضعف الجهاز المناعي في المجتمع الإسلامي الوليد، الذي كان في بداية تشكله التاريخي، فأصيب بهذا المرض العصبي الأموي الرهيب الذي قاد لالتهاب الدماغ والسحايا في الرأس الإسلامي، وأسس بعدها لعطلة عقلية وشلل حركي، كما يحدث في كل الأمراض التي تقود إلى تدمير الجهاز العصبي المركزي، وحرق كمبيوتر الدماغ. يضاف إلى هذا غلطة عمر (ر) في توليته معاوية فترة طويلة حكم الشام التي دامت حوالى عشرين سنة فاستطاع تكوين جيش بيزنطي جديد، يلبس عباءات إسلامية جاهزة لضرب الكعبة، وذبح آل البيت، واستباحة المدينة، وصعود شخصيات جزارين من طراز الحجاج الذي صفى معظم القيادات الفكرية في المجتمع الإسلامي. أما مجموعة الانحراف الثانية: الخوارج فكانوا بدواً بسطاء صريحين

لا يعرفون التواءات النفاق السياسي. كانوا طلاب حق ولكنهم أخطأوا الوصول إليه.

كان الخوارج مخلصين ينقصهم الوعي، وكان الفريق الأموي خبيثاً ذكياً واعياً ينقصه الإخلاص، يبحث عن مصالحه ولو على حساب إجهاض التجربة الإسلامية كلها. إلى درجة أن تلك التجربة التاريخية العظيمة انتهت قبل أن تبدأ، في أقل من أربعة عقود، في جيل واحد، ليتشكل مكان الدولة الراشدية دولة بيزنطية، لا تختلف عن بيزنطة في شيء. سوى أن الأمويين أدوها بسذاجة أعرابي جاء متأخراً عن درس التاريخ بسبعة آلاف سنة، يتلمس طريقه في الظلمات، بين أطلال حضارة قديمة مليئة بالفخاخ والألغام.

كانت سياسة الإمام علي(ر) مع الخوارج واضحة (دعوهم ما لم يسفكوا دماً حراماً). فهو قاتلهم ليس من أجل آراء غيروها أو بدّلوها، مع كل اعتقاده أنهم هم الذين وصفهم الحديث، بأن (أحدكم يحقر صلاته بجانب صلاتهم وصيامه بجانب صيامهم، ولكنهم مع كل شدة العبادة هذه يمرقون من الدين، كما يمرق السهم إذا دخل الصيد فخرج منه دون أثر كما يمرق السهم من الرمية). فمع اقتناع علي(ر) الكامل بأنهم مرقوا وخرجوا من الدين لم يحاربهم من أجل أفكارهم، بل من أجل رفعهم السلاح وفرض الرأي على الناس بالقوة المسلحة. وهذا الذي فعله أبو بكر الصديق في قتاله مع المرتدين. وأريد أن أضيف شيئاً آخر عن فعل رسول الله (ص). إنه لم ينقل عنه أنه قتل مرتداً لأنه غيّر رأيه فقط، كما لم يرسل أحداً يغتال الآخرين لمجرد آرائهم تبديلاً وتحريفاً، بل كان يقاتل مَن رفع السيف على الناس لفرض الرأي بالقوة المسلحة، وتآمر وظاهر على الإجرام.. ﴿**إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في**

الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ (سورة الممتحنة الآية ٩). لا أدري يا سيدي، هذا بعض مما شرح لي، فماذا تقول؟؟

رئيس الوفد: الرأي ما سمعت. من يرتد يستتاب، فإن أجرَّ على الكفر يقتل. هذا حكم الله وشرعه العادل.

(ياباني) مختص في دراسة تاريخ الشرق الأوسط القديم: قبل أن نختتم الجلسة هناك فكرتان ملحقتان بهذه الفكرة الخطيرة. الأولى، إن هذا السلاح في غاية الخطورة، يمكن تسخيره تحت دعوى الردة، كما حصل حسب اطلاعي على التاريخ الإسلامي. فالحلاج قتل أيام الخليفة العباسي المقتدر. والسهروردي قتل زمن صلاح الدين الأيوبي. كلاهما قتل على أساس فتوى أمسكوهما فيها بكلمة تفوّها بها. كان الحلاج يصرخ في القاضي ومن معه في لجنة التحقيق (الله.. الله... في دمي) فقتلوه تقطيعاً. هذا السلاح العباسي يمكن استخدامه ضد أي إنسان معارض سياسياً، بدعوى أنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة. ولو راجعنا قضية محمود طه السوداني الذي أعدم أيام النميري بهذه الفتوى لرأيناها من هذا القبيل في التصفية السياسية المجردة. فهذا الاتجاه الخطير الذي تشكل منذ الأيام الأولى لتشكل العالم الإسلامي العقلي والسياسي، هو مبدأ أموي مريض أقيم لتصفية المعارضة وإجهاضها، وتصفية العقول المفكرة وتراثها وضرب كل تجمع عقلاني كيفما وأينما وجد، ومحاولة تأسيس ثقافة أموية مازالت آثارها متمثلة في الثقافة الشعبية إلى اليوم حتى في كلمات أهازيج العيد والسباب (سرسري.. بابا حسن) وبابا حسن هو الإمام علي كرم الله وجهه. المشكلة أن عظام معاوية تحولت إلى تراب منذ أمد بعيد، ولكن الثقافة الأموية مازالت حية نشيطة في الثقافة المعيوشة والمتداولة. وفي هذا يجب أن

نعترف لمعاوية بدهاء تاريخي، يتحول أمامه ريشيليو وبسمارك إلى تلاميذ بلهاء، ويتعلم على يديه مترنيخ ومكيافيللي معاً.

ألا ترى يا هذا أنه سلاح سياسي خطير، وهو سلاح سياسي بالأصل، من أجل أن يتخلص الحاكم من المعارضة ولكن بفتوى شرعية؟

الفكرة الثانية هي بث الرعب في مفاصل التفكير، أي ممارسة الإرهاب الفكري: وطالما كانت مثل هذه الأسلحة (الاستراتيجية) متوافرة فلا يمكن للإنسان أن يدلي بآرائه بصراحة في أي مجلس، بما فيها نقل وقائع هذا المؤتمر إلى الرأي الشعبي الإسلامي. أي أن فكرة من هذا النوع تلقي ظلالاً رهيبة على الحجر الفكري، حيث أي بادرة فكرية قد تقود صاحبها إلى الهرطقة، ولذلك يجب أن يحسب حساب أي فكرة تراوده، فهل ستقوده فكرته إلى قطع الرقبة وتكلفه حياته أم لا؟ وهكذا يكون الإسلام الذي جاء بالأصل لإطلاق الحرية قد انتهى عمله قبل أن يبدأ!

(رئيس الوفد الإسلامي) بعصبية: لا جديد عندي أقوله.
في نهاية المؤتمر (يجتمع اليابانيون ليتداولوا المواقف وإمكانية اعتناقه على هذه الصورة).. يقول سوموتا: إنها فكرة خطيرة، ففي رأيي أن هذا المبدأ لا يعتنق بحال ما لم تعدل هذه الفقرة ونظيراتها بشكل جوهري.

ويعلق الثاني، وهو رئيس قسم الأبحاث النووية في جامعة ناغازاكي: إنني أوافق على ما قاله الزميل سوموتا، ويجب أن يعاد النظر بشكل أساسي في هذه النقطة.

ويتقدم رئيس شركة تويوتا لصناعة السيارات فيقول: حقاً إنه مبدأ عجيب، تصوروا أنهم يريدون منا أن نصنع سياراتنا بدون إمكانية عودة للخلف (أنارييه)، باتجاه واحد فقط، فإذا دخلت السيارة الكراج لم تخرج منه قط!! إنها كارثة بحق على الصناعة اليابانية والعقلية اليابانية المبدعة، وسوف نفقد كل منافسة في الأسواق العالمية التي نعيش عليها، إنهم سيقودوننا إلى كارثة عقلية واقتصادية مزدوجة.

ويعقب وزير المواصلات: إنهم قوم عجيبون حقاً، يريدون منا بناء كل الـ (high ways) (روحة بلا رجعة)!

٢

تجربتي مع المطاوعة في الرياض

لقد رباني أهلي على الصلاة وطاعة الوالدين والخوف من الله، ونشأت كبقية أبناء قريتي، إحدى قرى أطراف نجد، نشأنا متدينين بالفطرة، نحب الله والرسول والإسلام، ونحب أعمال الخير من صدقات ومساعدة للمحتاجين. ودرسنا حتى الثانوية دون أن يتغير علينا شيء. خطيب الجمعة في القرية هو نفسه منذ عهد جدي يقرأ من كتاب قديم معه ولا تتغير الخطبة أبداً سوى في العيدين. مدرسونا كذلك كانوا من أهل القرية وبعضهم من مصر وفلسطين وهم قريبون من أهل القرية في طباعهم وتدينهم البسيط.

حينما انتقلت إلى الرياض للدراسة الجامعية، مرت سنتان لم أشعر بشيء مختلف سوى أنني انتقلت من قرية إلى مدينة ومن مدرسة إلى جامعة، وحافظت على طريقتي في الدراسة كما أنني محافظ

على صلاتي. وفي السنة الثالثة تعرفت إلى شخص من قبيلتي وهو في السنة الأخيرة، وبدأ يعطيني معلومات وجدتها مفيدة عن أساتذة القسم وعن صعوبة المواد، وارتحت له، فعزمته على المطعم وقضينا وقتاً ممتعاً. لا أدري عن أي شيء كنا نتحدث لكن المهم أنه في نهاية اللقاء تواعدنا أن نلتقي مرة أخرى. وبعد أسبوع قابلني في الجامعة وعزمني على عشاء يوم الأربعاء القادم في الثمامة خارج الجامعة وقال إن الشباب سوف يجتمعون هناك. ولأني لا أعرف من هم هؤلاء الشباب فقد آثرت السكوت وعدم السؤال لأن كلمة الشباب متداولة بين الناس. كانت هذه أول مرة أسمع بالثمامة، ولأنني لا أملك سيارة وقتها فقد اعتذرت منه ولكنه تكفل بأخذي من السكن وإرجاعي.

وحينما وصلنا إلى الموقع في مخيم قريب من الطريق السريع، استقبلنا الحاضرون وكانوا بحدود العشرة أشخاص. مر وقت بين شرب القهوة ثم الشاي وبعض السواليف حتى جاء العشاء. وبعد العشاء اجتمعوا لشرب الشاي وما إن جلسنا حتى بدأ أحدهم يتكلم بلغة غريبة علي وجديدة في نفس الوقت. بدأ يتكلم باللغة الفصحى التي لم أعتد أن يتحدث بها أحد في المجالس باعتبارها لغة رسمية للتلفزيون وللراديو وللخطب والمحاضرات، ولم أكن أعلم أنه يقدم محاضرة. قال كلاماً كثيراً لا أتذكر أكثره، ولكن الفكرة العامة التي يتحدث عنها كانت عن أهمية حفظ القرآن الكريم ودراسته.

وبعد انتهائه من محاضرته دارت تعليقات قليلة حول اهتمام الناس بالمغنين وإهمالهم لحفظة القرآن، ثم حديث عن أفضل قارئ للقرآن كالمحيسني والسديس وباجابر، وشكره الحضور. ولاحظت تكرارهم لعبارة «جزاك الله خير» كانت هذه عبارة جديدة علي، وقلتها

متابعة لهم. وفيما بعد عرفت أنها تعتبر من عبارات أهل الرياض بشكل عام والمطاوعة بشكل خاص، ويظهر أنها انتقلت إلى بعض المناطق بسرعة في السنوات الأخيرة، إذ سمعت بعضهم يقولها في قريتي منذ فترة قريبة.

وبعد فترة صرت أقابل بعض من تعرفت إليهم في ذلك العشاء في الجامعة، ويصرون على أن أحضر معهم درساً في المسجد الجامعي بعد المغرب. وحضرت عدة مرات. ولا أتذكر من المحاضرات التي حضرتها في المسجد شيئاً الآن، إذ يبدو أني لم أكن مهتماً بالأمر. لكن طالباً من الرياض تعرف علي وعزمني إلى بيتهم وقابلت والده وإخوته وصار يزورني باستمرار. وفي نهاية الأسبوع يأخذني بسيارته لنتجول في الرياض، وكان يسمعني بعض الكاسيتات الإسلامية. والحق أنه سبق أن سمعت شخصاً معه كاسيت لبرنامج «نور على الدرب»، ولكنها أول مرة أسمع فيها شيوخاً بعضهم يصرخ والآخر يبكي كشخص اسمه الحماد، ويتباكون ويهولون العذاب يوم القيامة حتى لتشعر أنك في جهنم لا محالة!

فيما بعد بدأت أشعر أنني عاصٍ ومخالف وبدأت بالخوف من التهديدات بالنار. صرت أطيل الصلاة وأقرأ القرآن بكثرة وبرهبة وأحس وكأنني مجرم ومن أهل النار دون أن أذكر أنني آذيت نملة! لكن هكذا تصورت بسبب تأثيرهم على عقلي الغض آنذاك. واستمر هذا الصديق بزيارتي وإهدائي بعض الكاسيتات حتى تعلقت بالقرني والعودة والعمر والحوالي وبن مسفر والطريري والعشماوي وغيرهم من أصحاب الكاسيتات، وصرت أطارد كل جديد لهم. ولم تكن تواجهني مشكلة مالية فالكاسيتات توزع مجاناً مقابل مسجد الملك خالد بأم الحمام القريب من الجامعة، وكان هناك من

يوزع دهن العود والورد على الحضور. وكنت أحضر بعض دروس الشيخ الكلباني الذي يتوشح بِشتاً بنياً ويتميز بلغة عنيفة وببكاء أثناء قراءة الفاتحة أو قراءة آيات الكهف أو سورة (ق) التي يكثر من ترديدها في الصلوات.

لقد أثر هذا النشاط والاهتمام على دراستي وبدا واضحاً من خلال هبوط علاماتي. ولكني كنت أمني نفسي بأن الله سوف يساعدني وكنت أكتب على ورقة الامتحان دعاء تعلمته من الكاسيتات وهو دعاء الامتحان لكي يسهله الله عليك، لكن الامتحان لم يتغير ودرجاتي لم تزد. وهذا لم يؤثر فيّ لاسيما أن صديقي قد اكتشف فيّ موهبة قراءة القرآن بصوتي لأنني صرت أقلد صوت الكلباني، فصرت أنا الإمام في البيت إذا لم نذهب إلى المسجد. وكنت أجد في إعجابهم بصوتي ما يدفعني للحماسة والإيغال في التميز. والتميز في نظري ونظر من هو على شاكلتي يعني التعمق في الدين والتشدد فيه.

لم تكن مفاجأة سارة لأمي حينما زرتها في الإجازة بين الفصلين حينما رأت لحيتي قد طالت وثوبي قد قصر. صدمت بأن ابنها صار يشبه «جهيمان» الذي سيرته في القرية قبيحة للغاية. بكت كثيراً وتوسلت إلي أن أرجع إلى الصواب، لكن عقلي كان مستقراً بحيث إني أعتبرها جاهلة ومسكينة ولا تفهم الدين. مرت الأيام ثقيلة علي في القرية وشوقي متعلق بالعودة إلى الرياض. انتهت العطلة وودعت أمي وهي لا تزال تبكي وتتحسر على ابنها الوحيد الذي بدت ملامح التغير عليه، وسوف يرفض بعد سنة واحدة تقبيلها، ولن يسمح لها بالخروج من المنزل ولا الرد على التلفون، وسوف يحطم التلفزيون القديم الذي أهداه لها أخوها!

حصلت أحداث كثيرة في الفصل الدراسي الثاني، فقد تعرفت إلى شخص اسمه عبد العزيز، وهو شخص قوي الشخصية يعمل في عمادة القبول والتسجيل وينظم الطلاب عند التسجيل، وله يد طولى في تسجيل الساعات المناسبة لمن يريد. كان سبب التعرف هو أني كنت خارجاً من المكتبة المركزية ذات يوم فإذا هناك تجمع لبعض الطلاب المطاوعة في البوفيه في البهو الرئيسي. وكان عبد العزيز هذا هو الذي يسيطر على الجو، ووجدت صديقي من بينهم، سلمت عليه ووقفت أستمع، فإذا هم يخططون لتكسير مسجد في الدور الرابع في البهو لأن الشيعة يصلون فيه. سألت صديقي: ومن هم الشيعة بالضبط؟ لأني كنت أسمع بهم ولكني لم أعرفهم جيداً. قال أهل الشرقية. بالتأكيد ذهبنا إلى الدور الرابع وكسرنا الصناديق وطوينا السجادات وحملناها في سيارة عبد العزيز الذي أحرقها بطريقته. واتفقنا أن نذهب في اليوم التالي إلى مكتب عميد القبول عبد الله الحمدان لنبلغه هذا المنكر ونرفض السماح للشيعة بأن يكون لهم مصلى خاص بهم.

من الغد اجتمعنا في البهو الرئيسي بعد صلاة الظهر، وتقدمنا عبد العزيز إلى مكتب عميد القبول والتسجيل آنذاك د. عبد الله الحمدان. انتظرنا عند السكرتير طويلاً حتى ظهر سكرتير آخر من مكتب الحمدان يخبرنا بأنه لن يدخل على العميد سوى ثلاثة شريطة أن يكتبوا ما يريدون في ورقة. بالطبع قرر عبد العزيز الدخول مع اثنين وكتبوا على عجل خطاباً يطالب بإيقاف إهانة الإسلام في الجامعة، مثل إغلاق مصلى الشيعة ومنع الموسيقى في المسرح وإلغاء أجراس تحديد المحاضرات، وتحديد زمن لدخول الطلاب للسكن لا يتجاوز الساعة ١٢ ليلاً. دخلوا بها ولم يلبثوا طويلاً حتى خرجوا علينا يقولون بأنه وعدهم بعرض الموضوع على

مدير الجامعة التركي. وبعد فترة طويلة منع الشيعة من الصلاة وألغيت الموسيقى من المسرح وتعطلت الأجراس فترة ثم عادت. كما أن تحديد مواعيد دخول طلاب السكن قد تأخر كثيراً ولم يحصل إلا بعد فترة طويلة، فقابله الطلاب بالمظاهرات وألغي القرار بعد تدخل الشرطة وقوات الأمن لقمع المظاهرات واعتقال المشاركين فيها!

كان هناك في قسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية دكتور لا أعرفه اسمه البركان. كان يجمع الطلاب في مكتبه أو في مصلى القسم ويؤلبهم ضد الشيعة. وقد أوصى الطلاب بعدم حضور محاضرة دكتور شيعي وأنه سوف يتكفل بالدرجات شخصياً لأن له حظوة عند عميد الكلية د. أحمد عثمان التويجري، الذي ألقى فيما بعد محاضرة قوية ضد الشيعة تدخلت الشرطة بعد ذلك لأخذه والتحقيق معه. وكان من نتائج تأليب البريكان أن قام طالب بكلية الطب بإيقاف دكتور من قسم اللغة العربية يقال بأنه شيعي. أوقفه في مواقف السيارات خارج الكلية وأشبعه ضرباً وفك حنكه العلوي، ثم فر هارباً إلى قريته في القصيم، ولم يعد إلى الجامعة فيما بعد. وسمعنا أنه التحق بأفغانستان بعد فترة طويلة.

مضت فترة وأنا مواظب على حضور الدروس التي تعقد في جامع الملك خالد بأم الحمام، ومن هناك تعرفت إلى عدد من الشباب الذين يطلقون على أنفسهم مسمى شباب الصحوة. في تلك الأثناء حصلت حرب الخليج وبدأ الأميركان يفدون إلى السعودية ولم يكن في ذهني أي شيء ضدهم حتى استمعت إلى محاضرة قوية لسلمان العودة عن «اليهود والنصارى». ومن بعدها تأثرنا بتلك المحاضرة وما تبعها من محاضرات للعمر وللطريري وللحوالي

وغيرهم. وقد بقيت تلك مجرد أفكار عابرة ولكن الذي أججها مظاهرة النساء لقيادة السيارة. فقد ألقى الكلباني خطيب جامع الملك خالد آنذاك خطبة طالب فيها الملك فهد بقطع رؤوس هؤلاء النسوة لاجتثاث الفساد استناداً إلى أن النبي موسى قد قتل الغلام خشية من فتنته حينما يكبر! ثم استضاف الشيخ عائض القرني الذي كرر نفس مطالب الكلباني في محاضرة حاشدة. حثنا الشيخ الكلباني والطريري وفيما بعد سعد البريك وسليمان الخراشي على توزيع مصورات كتبوها بأسماء اللاتي شاركن في المظاهرة وأسماء وظائفهن وأزواجهن وتوزيعها في المحلات وفي المدارس وعند الإشارات. كنا في حماسة منقطعة النظير ونحن نقوم بذلك. كنت لا أعود إلى البيت إلا بعد منتصف الليل. العمل والحماسة يحدواني لكي أبقى أوزع المنشورات، والتي بدأت تزداد حينما كتب الشيخ القرني فيما بعد ما سماه «في عين العاصفة» رداً على زاوية غازي القصيبي التي ينشرها في «الشرق الأوسط» واتهمه فيها بالعلمانية. وكانت هذه المرة الأولى التي أسمع هذه الكلمة. فيما بعد دار خصام شديد بين أخوين كنا في منزلهما لتناول العشاء، فقد كان الأخ الأكبر معجباً بالقصيبي، ولكن أخاه الأصغر يؤكد بأنه علماني خبيث. قويت المشادة لأننا وقفنا كلنا ضد القصيبي حتى إنني وثلاثة من المعزومين خرجنا تلك الليلة دون تناول العشاء من باب أننا لا يمكن الجلوس في منزل يقال فيه منكر!

فيما بعد أتيحت لي فرصة لقراءة كتاب القصيبي الذي وزع سراً وكان بعنوان «حتى لا تكون فتنة» ووضع الإهداء فيه إلى الملك فهد. ولكن هذه الفرصة لم تتح لي إلا بعد أكثر من عام على حادثة العشاء التي ذكرتها. وخلال هذه الفترة جرت عدة تغييرات على فكري. ولا أنكر أن كتاب القصيبي نفسه لعب دوراً مهماً في

إعمال عقلي لكي أعرفه ومن خلاله أعرف فكر من أعيش معهم.

التحقت بجوالة الجامعة، بعد أن وصلت سمعتها ونشاطها إلى أكثر الطلاب داخل الجامعة وخارجها. كانت الجوالة تأخذ ميزانية ضخمة من الجامعة ولها مخيمات خارج الرياض وفي بعض المدن كالطائف وأبها. لم أكن أحسن التمثيل ولكن ليس التمثيل وحده هو الذي تقوم به الجوالة، إلا أن الناس يعرفون التمثيل أكثر لأن الجوالة تعمل حفلات كثيرة في مسرح الجامعة وتقدم عروضاً مسرحية للجمهور. وكانت تلك المسرحيات تقوم على فكرة إسلامية تتعلق إما بالجهاد ضد الدشوش التي انتشرت في تلك الفترة، أو بالكشف عن الأفكار العلمانية في الجامعة ومطالبة الجامعة بالتدخل. وبعض تلك المسرحيات تصور مجتمعنا بأنه مجتمع جاهلي لا فرق بينه وبين العصر الجاهلي سوى هذه الآلات المستخدمة، ولكنه من حيث التدين جاهلي. وهذه الأفكار كانت منتشرة بقوة لدى الجوالة وأعضائها، وفيما بعد في مكتبات المساجد التي اشتركت فيها. حتى أنني كنت حينما أسافر لزيارة أمي أظل أفكر بأنني شخص مختلف عن هذا المجتمع وأتعاطف مع أمي المسكينة بأنها جاهلية في عقيدتها. وحاولت أن أصحح لها طريقة السجود وطريقة الجلوس بين السجدتين فهي لا تجلس بينهما. ولكنها لم تأبه بكلامي.

كنت مؤمناً بقوة بأنني شخص أنتمي إلى مجتمع آخر وليس هذا المجتمع بكل تأكيد. كنت أحلم بدولة إسلامية تقام فيها الخلافة الإسلامية كما كانت في عهد الرسول والخلفاء الراشدين. وكنت أمني نفسي بخيالات أرى فيها زوال هذا المجتمع بحكومته وناسه الراضين بهذه الجاهلية. يظهر لي الآن وأنا أتذكر حالي أن هذه

الأفكار قد تسربت إليّ بعد قراءة كتب سيد قطب كـ«معالم في الطريق» وغيره، والإدمان على كاسيتات سلمان العودة وناصر العمر والطريري. لقد كنا نتصور أن وجودنا مؤقت وأن الأمور سوف تتبدل بلا شك. ولو أن حكومة طالبان ظهرت في ذلك الوقت لهاجرت إليها بلا تردد، فقد كانت تمثل لنا النموذج الكامل للدولة الإسلامية.

ومن المواقف التي لا تنسى أننا قمنا بحملة ضد العلمانيين في الجامعة من الدكاترة. وكنا نتزود بأسمائهم كل يوم والقائمة تطول وكان من أشهر من كان عليها: د/ سعد البازغي من قسم اللغة الإنكليزية، د/ عبد الله المعيقل من قسم اللغة العربية، ومحمد العثيم من قسم الإعلام، ود/ أحمد العويس ود/ عبد الله الجريان من قسم الكيمياء، ود/ عبد الله الغدامي من اللغة العربية، ود/ محمد آل زلفة من التاريخ ود/ سعد الصويان من علم الاجتماع ود/ علي السرباتي ود/ محمد قلعة جي من قسم الآثار وغيرهم.

كان هناك عدد من الطلاب يحضرون هذه المحاضرات ومعهم مسجلات صغيرة يسجلونها عليها، وهناك مدرسون متدينون يحضرون لحضور محاضرات هؤلاء، لأن نظام المحاضرة كان مفتوحاً للجميع. وكنا نقوم بكتابة شكوى إلى مدير الجامعة و إلى الشيخ ابن باز ضد هؤلاء لأنهم يعلمون الطلاب الفكر العلماني. وكان سليمان الخراشي هو الذي يصوغ هذه الشكاوى وفيها تهم معينة، وكان البعض يقترح ضربهم بعد الدوام. وبالفعل تم ضرب أستاذ مصري في قسم اللغة العربية وأحرقت سيارته. وعلمت فيما بعد أن الدكتور الجريان قد اختفى عن أهله سنوات ولا أحد يعلم عن مصيره شيئاً، لكني أرجح أن أحداً قد خطفه ثم قتله في جبال

طويق. فهو كان يصر على الحديث عن نظرية التطور، وكان مدرس في ثانوية النجاشي (ابن باز لاحقاً) ـ صار مدير ثانوية فيما بعد يسمى إبراهيم الربيعة ـ كان يحضر صفه، وقد هدد الدكتور بالقتل. ولا أدري الآن هل عثر على الدكتور الجريان أم أنه ظل مجهول المصير؟ وهناك دكاترة آخرون قد غيروا من نهجهم كالبازعي والصويان وآل زلفة والسرباتي، كما تم طرد آخرين كقلعة جي.

من خلال الجوالة تعرفت إلى عدد من المدرسين في المدارس المتوسطة والثانوية الذين يحضرون للمشاركة معنا، وجلب طلابهم إلى المخيم للالتقاء بالعلماء من مثل: القرني والطريري والعشماوي والآخرين. ومن خلال هؤلاء المدرسين دعوني لأكون ضيفاً في حلقاتهم المدرسية التي تعقد في المدرسة بعد الدوام. كانت تجربة ثرية لي حينما حضرت إلى ثانوية الملك فهد بحي الروضة لأكون ضيفاً عند مدرس الدين الشيخ وليد. وكان البرنامج عبارة عن قراءة للقرآن ثم تفسير له من قبل المدرس، بعد ذلك يقوم الطلاب بلعب الكرة ثم يعودون لصلاة المغرب، وبعد الصلاة نستمع إلى محاضرة عن طريق الكاسيت ويدور بعدها نقاش حتى صلاة العشاء. وكان موضوعي الذي أعددته عن «تحية الإسلام» وبينت من خلال محاضرتي أن استخدام أي عبارة أخرى مخالف للمنهج الإسلامي لأننا ينبغي أن نعيش كالصحابة والتابعين ونسلم على كل أحد حتى لو لم يرد، إذ نكون قد كسبنا الأجر. ثم يجب الرد بالسلام على من ألقى تحية غير إسلامية لتعليمه بخطئه الشرعي. وأذكر أن الطلاب ذكروا أسماء معلمين لا يسلمون عليهم، فطلبنا منهم أن ينبهوهم لذلك عن طريق قول «وعليكم السلام» لكي يشعر المعلم بخطئه فإنْ أبى فلا بد من الإنكار عليه. وبعد العشاء تفرق الطلاب. كانت هذه

التجربة محببة لي ولهذا استجبت لدعوة مدرسين آخرين في متوسطة ابن الجوزي بالروضة ومتوسطة فيصل بن تركي بحي الملك فهد ومتوسطة العليا ومتوسطة ابن القيم وثانوية القادسية وغيرها. في متوسطة فيصل بن تركي كانت التجربة قوية إذ إن لمدرس الدين صالح القاضي حظوة قوية في المدرسة، والمدير وبقية المدرسين يخشونه خشية كبيرة ويطيعون كل أوامره. وله غرفة خاصة به اسمها غرفة الجماعة الإسلامية، تلقى فيها دروس الدين. فهو يرى أن قراءة القرآن في الفصل لا تعطيه الوقار اللائق به، لهذا فالطلاب ينزلون إلى حجرته في حصص القرآن ليجلسوا بطريقة معينة تشبه طريقة الأوائل. وهناك «استريو» كبير يسمع فيه الطلاب القرآن والمواعظ.

وكانت هذه الغرفة مكاناً يجلس فيه بعض الطلاب بعد الدوام وتعقد فيها لقاءات بعد الدوام. واستمرت هذه الحجرة مكاناً سرياً لا يسمح بدخوله إلا عن طريق المدرس صالح القاضي، حتى حصلت فضيحة استدعت تدخل الشرطة. والقصة بدأت حينما فقد الاستريو من الغرفة وقام صالح القاضي باتهام مدير المدرسة بأخذه، ولكن المدير رفض ذلك واتصل بالشرطة الذين حضروا أثناء الدوام ولكنهم لم يجدوا النافذة مكسورة ولا الباب، مما رجح أن الفاعل هو ممن يملكون مفتاحاً للغرفة. وبعد حصر الذين معهم مفتاح للغرفة وكان من بينهم متدرب يدعى عائض وطالب في ثالث متوسط يدعى الخميس. واعترف الخميس أنه أعطى نسخة من المفتاح لطالب سوري آخر. وبعد التحقيق اتضح أن المتدرب عائض قد دخل ذات مرة بعد العصر ووجد الطالبين يمارسان الفاحشة في الغرفة وقد أغلقا على أنفسهما الباب. واشترط المتدرب لكي لا يفضحهما أن يمكناه من نفسيهما. وهذا المتدرب هو الآن محاضر

في قسم الدراسات الإسلامية بإحدى الجامعات وله فتاوى ومقالات دينية. الطالب السوري طلب من أحد رفاقه مساعدته في حمل الاستريو ذات يوم بعد الدوام، لأنهم يستطيعون فتح باب المدرسة الخارجي ثم الدخول إلى الغرفة. وقد اعترف الطالب السوري بذلك بسهولة. وانتقل الموضوع إلى إدارة التعليم التي رفضت وجود غرفة مخصصة بهذا الشكل، ونقلوا مدير المتوسطة وصالح القاضي إلى مدارس أخرى تأديباً لهما.

من خلال المخيمات في الثمامة تعرفت عن قرب إلى سليمان الخراشي، فقد صار قائداً ويسمونه «أمير» وألقى عدة محاضرات. وأتذكر أنني تحمست في إحدى جلساته، وكنت أتساءل بحرقة عن سبب دعم الحكومة للعلمانيين كما يقول المحاضر، وكان يرد علي بابتسامة ويقول بأن الفرج قريب بمشيئة الله. ويبدو أن حماستي قد أعجبته أو أن سذاجتي وبساطة منطقي قد لاقيا استحساناً منه، فسلم علي وسألني عن اسمي وعائلتي وبلدتي وبارك لي الانضمام لشباب الصحوة المباركة. فيما بعد اقترح علي أن أنضم إلى إحدى المكتبات في المساجد. ومضت مدة طويلة لم أره فيها ولا أعرف عنه معلومات كثيرة فأنا بطبعي خجول ولا أتجرأ على طرح الأسئلة الشخصية. وخلال هذه المدة صرت عضواً في مكتبة مسجد الشيخ الطريري، ثم صرت مشرفاً على مكتبة مسجد بحي النخيل، وسكان الحي من الأثرياء وكان عدد الطلاب لا يتجاوز السبعة. لم أكن أعلم بأنني تابع للشيخ سليمان الخراشي فقد كانت تصلني المنشورات والكتيبات من خلال اجتماعاتنا في مسجد الكلباني كل ثلاثاء. فهناك مكتبة كبيرة نلتقي فيها ونعرف البرنامج المطلوب تنفيذه للأسبوع القادم، وهناك مجموعة منشورات وكتيبات مصفوفة نأخذ منها على عدد طلابنا، وهناك شخص سوري يتكلم

بلهجة حجازية وهو نائب الكلباني في الصلاة هو الذي يملي علينا خطة الأسبوع. كان عليّ أن أطلع على المنشورات والكتيبات قبل توزيعها كل أربعاء على الطلاب، وكانت ملخصات لكتب سيد قطب وبعضها نقولات من الكوثري، ومن محمد بن سرور ومن المودودي والترابي، وكتيبات الطريري والعمر والعودة والحوالي وعبد الرحمن عبد الخالق وعبد الفتاح أبو غدة، وقصائد للعشماوي وللقرني. وأتذكر من تلك الكتب: [كتب وشخصيات، وقفات تربوية، السنة النبوية، سر تأخر العرب والمسلمين، قل هذه سبيلي، مذكرات الدعوة والدعية، الأخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، شهيد المحراب، خطوط رئيسية لبعث الأمة الاسلامية، صناعة الحياة، تربيتهم الروحية، فقه الواقع، وغيرها].

وأذكر أني اجتهدت مرة واقترحت كتاب القرضاوي عن العبادة في الإسلام، فلاحظت أن وجوههم قد تجهمت وقيل لي بأنه لا يصلح. وفيما بعد عرفت أن المادة التي نعطيها للطلاب في المكتبات هي مادة منتقاة ذات طابع يحث على العنف والتمرد على الدولة وفي الوقت نفسه يغرس فكرة طاعة الأمير أو الشيخ والرجوع إليه في كل أمر. وهو ما لاحظته فعلاً كسمة واضحة لدى طلاب المراكز والمخيمات، وكيف أن الطالب يأتي ويجلس أمام شيخه بطريقة توحي بالوقار والتعظيم، ويستشير الشيخ في موضوع يخص أسرته وبمجرد نطق الشيخ بالرأي حتى يصبح حكماً نهائياً يطيعه الطالب ولا يناقشه فيه. قال لي طالب إن لديه مشكلة مع أمير الجماعة وطلب مني التوسط له. وكانت المشكلة أن المدرس/ الأمير، قد غضب على الطالب لأنه لم يستشره حينما سافر مع أهله للشرقية الأسبوع الماضي. وذهبت بسذاجة للتوسط، ولكني فوجئت بتهجم المدرس وهو يقول لي: أنا أبخص ولو سمحت لا تتدخل في هذه

الأمور. وفيما بعد علمت أن هذه سياسة يقوم بها الأمير لإجبار أتباعه على طاعته العمياء والكشف عن أي تصرف يقومون به وأخذ رأي الأمير في ذلك. ظللت مستمتعاً بالمكتبات وحضور الندوات وانقطعت نهائياً عن الذهاب إلى الجامعة، ولم أحضر أي مادة مما جعلهم يطردونني من السكن، وطُوي قيدي في نهاية العام. فلما علم سليمان الخراشي بذلك قال: هذا خير لك وعينني مؤذناً في مسجد بحي الخليج فيه سكن مجاني. للشيخ سليمان واسطة لا يمكن تصديقها فهو قادر على تدبير أمر أي شخص إذا أراد، ويقول عنه الشباب بأن الله حباه محبته وسخر له القوم. كان يدفع لي ألفي ريال شهرياً، وكنت أصرفها على الأكل وشراء الكاسيتات.

قيل لي في أحد لقاءاتنا يوم الثلاثاء في مسجد الملك خالد بأم الحمام، بأن الشيخ سليمان يسأل عني. وعليّ أن أذهب لمقابلته في مخيم قريب. ذهبت مع أحدهم ووصلنا إلى استراحة صغيرة يقال بأنها لإبراهيم الحديثي، فإذا الشيخ سليمان هناك. قدم لي تمراً وقهوة وذهب الذي أوصلني وقال بأنه سيعود بعد ساعة. قال لي سليمان: هل تعرف الخبيث عبد العزيز العسكر؟ قلت لا. ثم راح يشرح لي أنه دكتور في جامعة الإمام وأنه ضد المتدينين وضد نظام المكتبات وأنه مقرب من الشيخ ابن باز وهذه مصيبة لأن ابن باز قد ينقل أفكاره للحكومة. ثم قال نريد التخلص منه لأنه عدو الصحوة المباركة، هو وعبد الله العبيلان في حائل، لكن هذا في الدرعية قريب. أعداء الصحوة المباركة، كرر هذه الجملة عدة مرات. ثم طلب مني طلباً لا أستطيع الإفصاح عنه ما دام أنه لم ينفذ. دخلني الرعب فقلت: ما أعرف؟ قال: لا عليك بكره جواز سفرك يكون جاهز ورايح يطلع أحد الأخوة على بيته في الدرعية، ويكفي أن تراقبه يوماً أو يومين لتعرف وقت خروجه لصلاة الفجر، ومجرد ما

تنفذ الأمر تتوجه بسيارة خاصة راح نعطيك إياها إلى صلبوخ وهناك شخص يأخذك ويوصلك إلى المطار لتتجه إلى السودان والأخوان هناك مجهزين وضعك، وهذي ستة آلاف لك، ووضع حزمة الفلوس أمامي ثم أخذها. وأضاف: كل شيء جاهز وما عليك إلا روح معك للبر بكرة أو بعده لكي تزول رهبة ذلك الشيء من نفسك. لم يعطني أي فرصة للرد أو الاعتذار أو الاستفسار، كان يقرر، كان يملي علي ما يجب عمله وكفى. ونبهني بأنني تابع له وهو أميري ويجب علي تنفيذ أمره، وذكر لي آية التولي يوم الزحف. وفي هذه اللحظات جاء الشخص الذي أوصلني فقلت له: ماودك نمشي تأخرنا، فقال هيا، كنت أريد التخلص من هذا المأزق، فسلمت على سليمان الذي قبض على يدي وقال: ترانا على وعدنا، وجعل يدي تلمس جيبه التي فيها الفلوس. وخرجت من تلك الاستراحة وقلبي يرتجف. وفيما بعد علمت أن هناك من حاول الاعتداء على الشيخ العبيلان في مدينة حائل أثناء خروجه لصلاة الفجر وقد اعتقل المنفذ وسلم الشيخ! لم أنم تلك الليلة من الخوف والوجل والشعور بالورطة وعينا سليمان اللتان تقدحان الشرر ترافقان كل لحظاتي، حتى وأنا أكتب الآن عن هذا الموضوع الذي مضى عليه ما يقرب العشر سنوات، إلا أن صورة عينيه الحادتين ظلت من الأشياء العالقة في ذاكرتي والتي ترعبني. يوم الثلاثاء القادم التقيت بسليمان في جامع الملك خالد وأخبرته برفضي لتنفيذ فكرته، فرد علي مبتسماً تلك الابتسامة المصطنعة: والله إنك قروي صحيح وإنت صدقت مزحي معك؟ كنت أبغي أجسك هل أنت ذيب والا سبع، وطلعت سبع الذيب!! لم يخفف قوله هذا من قلقي النفسي ولكنه قدم لي حلاً كنت أبحث عنه في تلك اللحظة، وقلت له بأنه يتوجب علي أن أنتهي من حفظ القرآن الكريم فلم يبق علي سوى ثمانية أجزاء. لقد سخرّت وقتي ما بين المكتبة وما بين حفظ

كتاب الله، وكان تقدمي في حفظ القرآن يعطيني دفعة عاطفية قوية لا أشعر معها أنني فشلت في دراستي في الجامعة.

بدأ إمام المسجد يتضايق من عدم تواجدي لأداء الأذان ويلمح لي كلما رآني بأن المصلين يسألون عني. أخبرته بانشغالي بطلب العلم في المساجد ومع المشائخ لكنه لم يقتنع بذلك وظل يكرر سؤاله كلما رآني. كنت أعيش في ضائقة مالية وكنت أخجل أن أطلب من أحد مالاً، ولكنني علمت أن مشرفي الجماعات الإسلامية يستلمون أموالاً ضخمة من مصادر مختلفة، وما علمت بذلك إلا حينما انتشر خبر شيك المدرس البسام، وهو مدرس في متوسطة حي السفارات في شمال الرياض وزعيم تنظيمي للجماعات خارج المدرسة.

كانت تصرف له شيكات من الراجحي والثيم ومن الفوزان ومن شركات أخرى، وتكتب في الغالب باسمه وأحياناً باسم المدرسة، وحينما يكتب الشيك باسم المدرسة فإنه يحتاج إلى تجيير هذا الشيك لاسمه وهذا يتطلب توقيع المدير أو الوكيل وختم المدرسة. كان وكيل المدرسة سلطان الثنيان متديناً وكان يكتب له على ظهر الشيك تجييراً من المدرسة لاسمه ويختمه بختم المدرسة الرسمي ولا يواجه البسام أي مشكلة في ذلك مع البنك. وسلطان الثنيان هو ابن أخ عبد العزيز الثنيان مدير تعليم الرياض ثم وكيل وزارة المعارف سابقاً. وكان عمه يقدم الدعم الكامل للأنشطة الدينية ويرعاها منذ أن كان مديراً للتعليم في الرياض حيث اتفق مع عبد الله الخلف مدير الشؤون التعليمية أن يضعوا جميع مديري المدارس من المتدينين. ويقال بأن المدارس خلال أربع سنوات قد تحولت بشكل جذري ليكون جميع مديريها إلا فيما ندر هم من المتدينين ذوي اللحى. ولم يواجه البسام أي مشكلة في ظل دعم الثنيان له

ولنشاطه. ولكن سلطان الثنيان غاب عن المدرسة فترة، فذهب البسام بشيك بمبلغ خمسين ألف ريال حصل عليه من الراجحي يطلب من المدير الخريصي تجييره له فرفض المدير، إلا أن يدفع نصف المبلغ لنشاطات المدرسة. ودار بينهما خصام جعل القصة تظهر ويسمع به الكثيرون من أعضاء المخيمات.

حينما علمت بأن لديهم مالاً ينفقونه على المخيمات ويساعدون من يريد الزواج ويدفعون هدايا للطلاب ورحلات اسبوعية إما لمكة والمدينة أو للشرقية وغير ذلك، صرحت بحاجتي للمال. لكن الذين قلت لهم كانوا يرددون علي عبارة: الله يعين، وكأنني شعرت بأنه ليس بيدهم حيلة وأنه يتحتم علي أن أقول ذلك للأمراء كالخراشي أو البسام أو عبدالله الدريهم أو العقيل أو الربيعة مثلاً، لكنني لم أستطع فعل ذلك. ولضيق الحال بي كنت أذهب إلى مطعم الجامعة بعد انصراف الطلاب وآخذ البقايا التي يتركونها في الصحون وآكل منها. استمريت على هذه الحال فترة ثم قررت أن أبيع سيارتي الداتسون التي اشتراها لي خالي هبة منه. وفعلاً بعتها بأربعة آلاف ومائتي ريال، وأنا أعلم أن خالي اشتراها لي باثني عشر ألف ريال قبل سنتين وذلك معونة منه لنا. كنت مضطراً لبيع السيارة فلم يعد لدي مال آكل منه ولا أقدر الذهاب إلى مطعم الجامعة كل يوم بعد أن فصلت من الجامعة.

قابلني الشيخ العسكر إمام المسجد الذي أشرف فيه على المكتبة، وكان ضخم الجسم يعمل محاضراً في جامعة الإمام، وقال لي بلا مقدمات: لماذا لم تنبه الطلاب إلى الأخطاء العقيدية في ما يقدمونه من نصوص؟ قلت: طبعاً أبين لهم ذلك. قال: ما رأيك إذن بقصيدة أبو القاسم الشابي التي قرأها طالب ولم تنبه إلى فساد معتقدها؟

وتذكرت أن طالباً طلب مني أن يقرأ قصيدة أحضرها معه لكي يتدرب على الإلقاء، فقرأ قصيدة أبي القاسم الشابي التي مطلعها:

إذا الـشـعـب يـومـاً أراد الحيـاة
فـلا بـد أن يـسـتـجـيـب الـقـدر

قلت للعسكر: لا أذكر أن فيها خللاً عقدياً. قال: أعوذ بالله! كيف غابت عن عينيك الكفريات فيها، وذكر أن قوله «يستجيب القدر» كفر بواح لأن الله هو الذي يستجيب وليس القدر. قلت ببراءة: لكني لا أعتقد أنه يقصد أن الله مستبعد، والقدر يشبه قولنا الصدفة والحظ، كما تقول: الصدفة هي التي خلتني أشوفك. وهذا لا يعني سلب القدرة من الله. فغضب من ردي وبدأ بعصبية وهو يقول: لا، لا، أنت تحتاج إلى قراءة العقيدة الطحاوية، وقراءة فكر العلمانية الفاسد، هؤلاء مفسدون ويريدون إفساد الأجيال.

بعد أسبوع على هذه الحادثة قيل لي بأن هناك شخصاً آخر سيكون مشرفاً على المكتبة. وعلمت فيما بعد بأن العسكر هو المسؤول عن عدد من المكتبات منها هذه المكتبة وأنه يتجسس على المشرفين ليعلم عن مدى تنفيذهم للخطة الموضوعة. وربما يكون هو الذي أوصى بفصلي لأن ما فعله الطالب ربما كان اختباراً لي ولمدى التزامي بالخطة المعطاة لي وعدم خروجي عنها، وقد فشلت في نظره لأني سمحت للطالب بقراءة نص غير مقرر في الخطة ثم عدم تنبيهي على ما فيه من خلل عقدي. وهذه المآخذ بحد ذاتها تعتبر كبيرة لديهم، وأظنهم لم يكتشفوا عدم حرفيتي في تطبيق الخطة إلا مؤخراً.

الحقيقة أنني غضبت من فظاظته وذهبت يوم الثلاثاء إلى جامع الملك خالد وسألت عن سبب استبعادي فقيل لي: لا تستعجل يا

أبو أديب، وهي كنية فضلتها على أبو مصعب، اللقب الذي يحبون مناداتي به. قالوا لي لا تستعجل فلربما هناك مهمة أكبر من الإشراف تنتظرك، وصاروا يمزحون : الله لنا رايح تصير أمير علينا.

في تلك الليلة بدأت الأفكار تلعب في مخيلتي، وبدأ سؤال لحوح يعتصرني: لماذا اختارني الشيخ سليمان لمهمته التي صرح لي بها في الاستراحة؟ لماذا أنا بالذات؟ وهل يعرفني جيداً لدرجة أن يخبرني بسر خطير وعمل أخطر؟ أنا لا أعرف سليمان هذا كثيراً سوى أنه أمير لجماعات النشاط المدرسي، وتساءلت: هل رفضي لفكرته سوف يغضبه؟ وهل له علاقة بطردي من المكتبة علماً بأن هناك مشرفين على المكتبات من الصغار وممن عليهم ملاحظات وشكاوى في علاقتهم مع الطلاب ولكنهم باقون؟ لم أجد حلاً. قمت وتوضأت وجلست أقرأ القرآن بصوت مرتفع. لقد بقي علي آخر ثلاثة أجزاء من المنتصف لكي أنتهي من حفظ القرآن. انشغل ذهني بإنجاز حفظ ما تبقى من القرآن. كانت حافظتي مجنونة وقوية وخلال أسبوعين كنت قد انتهيت من حفظ ما تبقى من القرآن كله. ثم عادت إلى ذهني الأسئلة المحيرة كل ليلة: نهاري مشغول بمتابعة الدروس في المساجد وليلي مشغول بتساؤلاتي المحيرة. صحيح أن هناك فراغاً وجدته حيث لم أعد أشرف على المكتبة ولم أعد أكرر حفظ القرآن ولكنني كنت أقضي وقتاً طويلاً في إصلاح وتصوير المنشورات على حسابي. وفي درس «بلوغ المرام» في مسجد سعد البريك قال لي عادل العبد الجبار، وهو أحد مشرفي المكتبات بأنه يريدني أن أساعده في جمع مقالات محمد رضا نصرالله وكشف الخلل العقدي فيها. وذهبت معه إلى سيارته فإذا ملف مليء بقصاصات من المقالات له ولعبد الرحمن الزيد ومحمد التبيتي والصيخان والغذامي، وعدد آخر من الكتاب الصحافيين.

وأخبرني بأن المطلوب أن نحدد الخلل العقدي في كل مقالة لكي يقدمه للشيخ ابن باز كي يصدر فتوى تكفير في هؤلاء على نفس طريقة عوض القرني في كتابه «الحداثة في ميزان الإسلام». جلست معه في السيارة حوالى ساعتين، ولكني لم أتحمس للعمل ولم أفهم قصده جيداً، فأعطاني مجموعة منشورات ضد السياحة في الخارج وضد الحداثيين لكي أوزعها على طريقي في المساجد والمستشفيات. وفعلاً قمت بالمرور على عدد من المساجد، وكنت أعطي الإمام أو المؤذن لكي يقوم بنشرها بدوره إما في المدارس أو في صالونات الأفراح وغيرها من أماكن التجمعات.

استمريت في الذهاب يوم الثلاثاء إلى أم الحمام، وطلبوا مني أن أقوم بجمع التبرعات عند باب الجامع بأكياس أو بعلب مغلقة يستلمها سليمان الخراشي لكي ينفق منها على المراكز والمكتبات وإن كنا نعلن للناس بأنها للجهاد وللفقراء، لكني لم أكن مهتماً بهذا الأمر في ذلك الوقت إذ لا أهمية عندي لذلك، فما دامت بيد الأمير فله الحق أن يصرفها كيفما شاء. وذات يوم طلبني سليمان وسألني كم جمعت اليوم؟ قلت لا أدري فلم أتعود أن أعد المبلغ وإنما كنت أسلمه مباشرة. قال وعيناه تشككان في كلامي: المبلغ اليوم مأخوذ منه. غضبت لأني شعرت أنه يتهمني فقلت: والله لا أعرف عنه شيئاً، ورغم حاجتي فإنني لم ألمس ريالاً واحداً، أتعشى من فضلات طلاب الجامعة ولم أمد يدي لريال. لم يرد علي ولكن عينيه ظلتا تحدقان بي حتى خرجت. حينما عدت للبيت بدأ الغضب يفور في رأسي، وندمت أنني لم أشتمه، وأحسست بمهانة كبيرة أن يصل به الأمر لأن يشك في أمانتي وأنا الحافظ للقرآن الصادق في عملي المخلص لهم. هاج الدم في عروقي وخرجت من البيت وأنا أرسم في رأسي كلاماً قوياً ألقنه إياه من الغد، ولكن غضبي انطفأ بعد فترة

ولم أفاتحه بكلام منذ ذلك الوقت. هناك شيء مزعج بدأ يدور في ذهني، إنه هاجس مقلق ينتابني طوال هذه الفترة، يذهب مع الانشغال ثم يأتي، حتى إني ذات ليلة صحوت وسط النوم من حلم مرعب وخفت من فكرة قوية تسلطت علي وهي أن سليمان ربما ينتقم مني، ربما يريد التخلص مني كشاهد، ربما وربما. وظل عقلي يدور وجلست أفكر بحياتي في الرياض وحياة أمي التي سكنت مع أخوالي بعد سفري. لأول مرة منذ أن التحقت بالمطاوعة والأنشطة الدينية وجدت نفسي متعاطفاً مع أمي، فأحسست بذنب لأنها تعتقد أنني سوف أتخرج هذه السنة وأعود إليها موظفاً ونسكن معاً بعيداً عن خالي وأسرته وتمني نفسها كل يوم بعودتي إليها، وأنا في الحقيقة غارق في متاهة لا أعرف طرفها. لقد وجدت نفسي أقف أمام حقيقة ساطعة: لقد فشلت في دراستي وضيعت أموالي وسيارتي وجهدي وها أنا لا أجد عشاء ولا عملاً ولا أمناً، فالخوف من انتقام سليمان يتهدد حياتي كل لحظة. أحسست بشيء لا أستطيع وصفه، ربما يكون نوعاً من الندم. أتذكر أنني بكيت دون أن أشعر، ثم استمر البكاء معي طوال الليل. في الصباح تحول الخوف من سليمان من كونه فكرة ليكون حقيقة. المال الذي أخذته من قيمة السيارة تبدد في سيارات الأجرة وتصوير المنشورات ونسخ الكاسيتات، ولم يتبق معي سوى مبلغ زهيد عددت ما تبقى معي فوجدته فقط سبعماية وستة وعشرين ريالاً. فكرت: وماذا سأفعل حينما تنتهي هذه السبعمائة؟

في حي أم الحمام كان هناك محل تسجيلات إسلامية مقابل لجامع الملك خالد على الشارع العام، وخلفه تقع صناعية أم الحمام لإصلاح السيارات. كنت أقضي فيه بعض الوقت من بعد انتهاء درس العقيدة الطحاوية الذي يعقد بعد العصر في جامع الملك

خالد. كنت أجلس في التسجيلات حتى غروب الشمس. ذات يوم رأيت ذلك الصديق الذي عرفني على المتدينين وكان سبباً في تعرفي على هذه الأنشطة. لقد غاب عن نظري منذ فترة أو أنني غبت عن نظره، ولست أدري فقد انشغلت بأنشطة كثيرة هو غير مهتم بها، وكنت أعتقد أن طموحه ضعيف. سلمنا على بعضنا بحرارة وقال لي إنه ينتظر إصلاح سيارته وهاله شكلي المتغير في لحيتي الطويلة وثوبي القصير ووجهي الشاحب. فجع عندما علم أنني طردت من الجامعة، وغضب، وأخبرني بأنه ليست هناك مشكلة وأنني سأحصل على الشهادة هذا العام وأنه يعرف كيف يدبر الأمر. لم أتحمس لرأيه كثيراً، وحينما علم أني بعت سيارتي أخذني معه إلى بيتهم في حي السويدي وتعشينا مع بعض تلك الليلة وقابلت والده وإخوته كالعادة، وشعرت براحة كبيرة لم أشعر بها منذ زمن طويل. لقد شعرت بأنني بالغت في تعمقي في الدين، لكنني في نفس الوقت أشعر بأفضليتي عليه لحفظي القرآن الكريم، وكان عنده كتب لابن تيمية فأهداني إياها وفرحت بذلك. في تلك الليلة قال لي هناك أكثر من شخص في جامعة الملك سعود سوف يدبرون أمر دراستي. وذكر لي اسم اثنين بارزين يساعدون شباب الصحوة في تنجيحهم وإعطائهم معدلات عالية. قال لي هناك الدكتور حزام ماطر المطيري من كلية العلوم الإدارية وهناك الدكتور محمد السديس من كلية الآداب، وهناك غيرهما، ولكن سوف نذهب لأقربهم. خرجنا من بيته وركبت معه ثم وصلنا إلى بيت الدكتور حزام المطيري، سلمنا عليه وأخبره صاحبي بقصتي فالتفت إلى صاحبي وقال: تزكّيه؟ قال نعم. فابتسم وقال أمورك ميسرة وحتى لو قيدك مطوي نعيده، واعتبر أنك نجحت في كل المواد اللي فاتتك. اندهشت، ويبدو أنه لاحظ دهشتي، فقال: لكنها ليست مجانية، هناك عمل اصعب من الدراسة أنت مطالب بتنفيذه وهو عمل أفضل وتؤجر عليه. نحن

نريدك أن تسجل لنا محاضرات بعض الأساتذة العلمانيين لكي نرتب شكاوى ضدهم إلى مدير الجامعة وتجمع تواقيع الطلاب ضدهم بطريقة رايح أعلمك لها بعدين. بقينا في الخارج ولم ندخل، ثم قال أنت مر عليّ بالمكتب كل فترة، وشهادة التخرج رايح تاخذها مع زملائك هالسنة بمشيئة الله، لكن زي ما تعرف الأمور هذي سرية، يمكن قال لك الأخ. وأضاف: بكره مر على الموثق أبو ياسر في العمادة ــ قسم الوثائق والسجلات وتلقى كل شيء مرتباً. أنا رايح أرتب معه وضعك الليلة أعطيني رقمك الجامعي؟ أعطيته رقمي الجامعي واسمي كاملاً ثم ودعناه وعدنا إلى بيت صديقي وسهرنا إلى الساعة الثانية عشرة تقريباً. ولما خرجت أصرّ صاحبي أن آخذ سيارة كابرس قديمة عندهم لكي أستخدمها حتى أشتري سيارة، فرفضت لكنه حلف عليّ فأخذتها وغادرت. إنني لا أزال أتذكر جيداً كيف تغير شعوري وأحسست براحة مع نفسي ومع من حولي. هذا الصديق رائع ونبيل ويحبني في الخير، لكن الآخرين لم يكونوا مثله! ولست أدري كيف أنه كان غائباً عن ذهني وهو الذي عرفني على الكاسيتات وعلى المحاضرات الدينية في البداية. بالتأكيد ليس هو مسؤولاً عما جرى لي وليس هو السبب الوحيد في دخولي في هذه الجماعات الدينية والأنشطة، لكنه كان فقط دليلاً، إذ يظهر أنه كان لديّ القابلية للانخراط في هذه الجماعات، إذ لم يكن لدي ميول معينة ولا اهتمامات قبل مجيئي إلى الرياض. قد يكون لانبهاري بالرياض باعتبارها مدينة ضخمة وسكانها مختلفون سبباً في انحسار شخصيتي السابقة واضمحلالها وبحثي عن شيء آخر. لا أزال أتذكر أنني أول ما جئت للرياض كنت أحمل شنطتي وملابسي على ظهري وأدخل فيها القاعات ولم أشعر بأي حرج، ولكني بعد سنتين أحسست بحرج من ذلك المنظر. إنني الآن وأنا أراقب شخصيتي بعد اندماجها في عالم أهل الرياض وقد

تغيرت لكي تتنكر لذاتها من قبل، وأتذكر كيف أني أحتقر العيش الذي كنت أعيشه مع أمي ولهذا رفضت إحضارها للرياض بعد أن عرضت عليّ عدة مرات أن تأتي لتسكن معي في بيت المسجد. لقد تغيرت شخصيتي ليس فقط في نمطها المتدين، ولكن حتى في نظرتي لثقافتي ولهجتي وعاداتي السابقة. لقد صرت أتكلم لهجة أهل الرياض التي يكثر فيها استخدام ضمير (ذا) وفتح تاء التأنيث مثل (أنا جيتَ ورحتَ ودريتَ..). كما أن لغتي صارت تميل إلى الفصحى والتقعر أكثر مما كانت عليه في السابق. هذه ملاحظات أتذكرها وأعرف مقدار انسجامي مع صورتي الجديدة التي كانت تريد قطع صلتها بشخصيتي السابقة. ولم يقف الأمر على ذلك فقد كان التغيير يتم عن تعمد وقصد، لدرجة أني كنت أحتقر أقاربي في قريتي حينما أزورهم في العيد أو الإجازة وهم يتكلمون كلاماً يخلو من روح الإسلام، فلقد صار كلامي كله مطعماً بعبارات دينية من مثل (جزاك الله خير) و(الله المستعان) و(يا سبحان الله) و(أستغفر الله) وغير ذلك من العبارات التي كنت املأ بها فراغات داخل الجملة الواحدة، أو للربط بين جملتين أو لبداية الكلام أو لختامه. وكان هذا النمط اللغوي للساني محل سخرية وتندر بعض أقاربي، كزوج أختي الذي لم يرض بسلوكي نهائياً. ولكني كنت أعيد سخرية زوج أختي إلى خصام بيني وبينه في بداية تديني حينما ذهبت لزيارتهم ذات مرة وكسرت غطاء شنطة سيارته لأن فيه رمزاً للصليب معتبراً ذلك منكراً تجب إزالته. زوج أختي غضب وخاصمني ولولا تدخل أختي لتضاربنا، وصار لا يكلمني إلا برسمية بعد ذلك. الكابرس التي أعطاني إياها صاحبي أراحتني كثيراً وخففت من متاعبي، علاوة على أنها جعلتني أتفاءل كثيراً. لهذا لم أتأخر حينما اقترح عليّ عبد الرحمن أبا نمي وهو مدرس دين في ثانوية السليمانية ويعمل في مركز الهيئة أن أنضم للهيئة.

ذهبت لمركز الهيئة وكنت مطيعاً للشيخ عبد الرحمن أبا نمي الذي كان يلقي القبض على طلابه غير الملتحين والمسبلين لثيابهم في المساء، وكانت له هيبة في المدرسة لأن الطلاب يعلمون أنه سوف يقبض على من لا يروق له منهم. ذهبت مع أحدهم لمراقبة قصر أحد الأمراء في حي الرحمانية للتبليغ عما يجري فيه. أخذت عدة أيام ونحن نذهب بعد صلاة العشاء وحتى الفجر ونحن نراقب القصر لنرى ماذا يجري من مظاهر الدعارة التي تأتي للبيت. وأعطانا الشيخ عبد الرحمن «بيجر» لكي نكون على اتصال معه وكان «البيجر» لتوه يبدأ العمل. كنا نوقف السيارة في مكان مظلم ثم نبقى داخل السيارة نراقب المنزل. لم نكتشف أي شيء مريب لمدة أسبوع، فأمرنا بمراقبة بيت آخر في حي خرينقة بالعليا ثم بيت آخر في حي المزرعة، ولكننا لم نلاحظ اي شيء مريب. بعد ذلك انتقل دورنا لمتابعة اي سيارة فيها بنات لنلاحظ أين يذهبن ومن يتبعهن. وكنا قد دخلنا في مغامرات لمطاردة تلك السيارات، حتى أن ركاب سيارة أخرجوا علينا المسدس فتوقفنا. كانت مهمتنا هي رصد أي بيت فبه بنات يخرجن بلا محرم، وإعطاء المعلومات لمركز الهيئة الذي يبدأْ بمراقبة المنزل. وكان مرافقي الذي معي يتمنى لو يعطوننا فرصة لمتابعة الأسواق لأنها أكثر جدوى في القبض على الفاسدين من مراقبة البيوت طوال الليل.

تعطلت الكابرس التي معي، فذهبت لإصلاحها ولكن الميكانيكي أخبرني بأنها تحتاج إلى خرط القير الذي يكلف مبلغاً ليس معي، فاتصلت بصديقي صاحب الكابرس وأخبرته بالأمر فقال لا تهتم بالفلوس أنا أدفعها. وفعلاً جاء ودفعها فخجلت من كرمه وأقسمت بالله أنني لا أحتاج الكابرس ولا أريدها، فوافق على مضض وأوصلت الكابرس إلى بيتهم وشكرته على لطفه وكرمه.

سألني عن الدراسة فأخبرته أنني لم أجد أي وقت للذهاب للدكتور حزام المطيري ولكني ذهبت إلى أبو ياسر موثق كلية التربية والصيدلية، وكان فلسطينياً يظهر من شكله أنه عنيف وصارم ونظامي. ولكنه في الحقيقة أخبرني وعيناه تتراوغان بأن سجلي الآن نظيف وأنني أنجزت أربعاً وثمانين ساعة بنجاح ومعدلي الآن ثلاثة وستة وثمانون. وقال هذه معلومات لازم تحفظها واطلب «برنت أوت» وخليها معاك لكي تعرف لو سألك الأستاذ سعيد رئيس الوثائق. خرجت من عنده ولكني لم أتحمس للدراسة لأني تلخبطت ولا أعرف كيف أني أنجزت هذه الساعات ولا أدري كيف سأدرس ولا أعلم ما هو عملي مع الدكتور حزام المطيري. غضب مني وترجاني أن أعود للدراسة لكي أحصل على الشهادة ثم الوظيفة، وذكرني أن أمي تنتظرني فلا يجب عليّ أن أخذلها.

الإخوة الكرام: بعثت قبل فترة طويلة إلى ولي العهد باسمي الكامل وبينت له خطر الجماعات الإسلامية. وليس عندي مشكلة في اسمي فلربما يعرف من كان لي تجربة معهم عني وقد لا يعرفون، لأن ما مررت به قد مر به غيري، علاوة على أن نظام الاسم في الرياض مختلف عما هو عليه في قريتي، ولم أتكلم عن هذه النقطة، لكنها فرصة الآن أن أقول بأن من ضمن الأشياء الجديدة التي حصلت لشخصيتي بخلاف اللغة والشكل والاعتقاد، أمر آخر يتعلق بطريقة مناداة الناس لك. صحيح أنهم أعطوني كنية فيما بعد ـ ولكننا كما هو حال قريتي ومنطقتي ـ نعرف أنفسنا من خلال الاسم الأول ثم اسم الأب، ونادراً ما نحتاج إلى اسم الجد أو العائلة والقبيلة. ربما فقط نستخدم هذه السلسلة عند الإجراءات الرسمية، لكنها غير متداولة بين الناس نهائياً في حياتهم العامة، لدرجة أنه من المستغرب أن يناديك شخص باسم قبيلتك أو عائلتك

أو فخذك، بل يكتفون بالاسمين الأول والثاني. في الرياض الأمر مختلف. يستخدمون الاسم الأخير على أنه لقب، ينادونك به ويربطون الاسم الأول بالأخير دائماً حتى ليصبح الشخص الواحد باسمين إذا كان قادماً من قرية مثلي. حينما تعرفت إلى المطاوعة كنت حديث عهد ولم أختلط كثيراً بأهل الرياض وأعرف نظام الاسم لديهم، فعرّفت نفسي على طريقتنا: الاسم الأول والثاني مع حرف (ال) طبعاً للأب. وصار هذا اسمي عندهم معتقدين فيما بعد أن اسم أبي هو اسم العائلة، وبعد استخدامي للكنية نادراً ما يناديني أحد باسمي إلا في حال الجامعة. من هنا فإن عندي لخبطة أصلاً في اسمي الرسمي، هل أنا فلان الفلاني، الذي يكون الفلاني هو اسم أبي، أم أنني فلان العلاني والعلاني هو اسم القبيلة؟ المهم التجربة وليس الاسم. هناك ألاف من السعوديين من يتفق معي في اسمي الأول والأخير. ولست من السذاجة بحيث أذكر اسمي للتأكيد على صدق ما أرويه. إنني غير مهتم كثيراً بأن يصدق الجميع تجربتي، يهمني شخصياً أن أرويها، وسأذكر السبب الذي دعاني لذلك حينما أنتهي.

ومع كل هذا فليس عندي أي مشكلة تدعوني للتخوف منهم. لقد مررت بتجربة الخوف المذل، وليس لدي استعداد لاسترجاع ذلك الهلع. لقد وصلت إلى مرحلة مختلفة، مرحلة من الوعي بالذات ما يؤهلني لأن أتجرد من كل المعوقات الماضية التي كانت ترتبط بي. لا أشعر الآن بعيب أو عار لما مضى من تاريخي لكنني أشعر بألم وحرقة على تجربة مريرة عشتها وكادت تدمر حياتي.

التائه

٣

عندما يصادرون الورد

في الوقت الذي تحشد فيه قوى عظمى قواتها في المنطقة استعداداً للشروع في (سايكس بيكو) جديدة لإعادة صياغة الشرق الأوسط، تحشد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية كل طاقاتها ورجالها و(جموسها) وعيونها لمصادرة أي وردة حمراء يتم بيعها أو تداولها في محال الهدايا، ويكرس رجال الهيئة لهذا الهدف النبيل كل مورثات عداوة المجتمع التي تنتقل من (جمس) إلى (جمس) بشكل حيوي وفعّال، مثل البكتيريا! ويشرعون في تنفيذ ذلك بحماسة منقطعة النظير. فإذا سحق أحدهم وردةً بقدمه فكأنه سحق ترقوة شارون! وإذا أغلقوا محل هدايا يرتزق منه صاحبه فكأنما أغلقوا مبنى الكنيست اليهودي. وإذا زجوا في السجن بشابٍ جريمته أن قلبه ينبض، فكأنما أسروا عقيداً في جيش الدفاع الإسرائيلي. و..أهل العقول في راحة.

وعندما يتحوّل الورد في بلادنا إلى ممنوعات! فهل يوجد شك في أن فطرتنا تسافر عكس تيار الطبيعة؟! وهل يمكن تبرير هذه العداوة المطلقة، والحرب المقدسة، التي يشنّها رجال الهيئة على مظاهر عيد الحب بتبريرات مقبولة؟ سوى التبرير السيكولوجي الواضح جداً من تصرفاتهم، والذي تساعدهم السلطة الممنوحة لهم على إبرازه، وتعريته، بكل فخر؟

من الواضح أن الأمر يتجاوز بكثير (محاربة البدع) لأن هذه البدعة بالذات (إذا صح تعبير البدعة) تكاد تكون إقلاقاً لمضاجع رجال الهيئة، أكثر من الشعوذة والسحر والمخدرات واللواط وغيرها. لماذا؟ هل لأن الأمر يتعلق بالجمال، ويعكس السعادة، ويلوّن الحياة؟ هذه المظاهر كلها هي التي تثير حساسية العداوة الاجتماعية تماماً كما يثير الغبار مرضى الربو!

لماذا كل المحاولات الكبيرة لتشويه صورة عيد الحب في بلادنا، وإلصاقه بقصة القسيس (فالنتاين)؟

لاحظوا الزج بالمعتقد والدين في كل شيء، وكأن القسيسين والرهبان هم شياطين دميمة! وليسوا أناساً ينادون بالطهر والنقاء في المجتمعات المسيحية. لماذا تسعى الثقافة الوهابية دائماً إلى محاكمة كل حدث محاكمة عقائدية؟! لماذا هذا الشبق الكبير نحو التكفير والتشكيك في صحة العقيدة وسلامة المعتقد؟! ولماذا الاعتقاد الجازم أن كل وردة حمراء يتبادلها عاشقان تعتبر وثناً صغيراً يعبدانه معاً ويستحقان عليه العقوبة؟!

هل مازال هنالك مجتمع في العالم يعتبر الحب جنحة.. إلا نحن؟

الأطفال الذين يولدون في أسر موبوءة بهذه المزايدة الدينية على كل شيء، كيف ستكرس في صدورهم الغضة صورة الحب، مظاهره، ألوانه وجمالياته؟ هذا التشويه الكبير للفطرة الإنسانية النزاعة للحب والعطاء والجمال، إلى أين سيؤدي بنا عندما يصبح الخلل هو الأصل والأصل هو الخلل؟ ويبرر ذلك رجال الهيئة بما آتاهم السلطان من سلطة على الشعب لا يصل إليه أذاها، هؤلاء الرجال، بحياد تام، عندما يعتقدون أنهم يتقربون إلى الله بقتل الفرحة في صدور الأحباب، ومصادرة الورود، وتشويه الحب.. أليسوا مختلين نفسياً؟!
ماذا عن الرجل الذي يريد أن يشتري وردةً حمراء لزوجته؟!

كم من المخالفات الإنسانية يرتكبها رجال الهيئة كل يوم؟
كم من الحريات يخنقون؟
وكم من الأحلام يسحقون؟
وكم من الورود يسحقون؟
وكم من الفضائح ينشرون؟

وإلى متى تستمر هذه الفاشية في بلادنا؟! لماذا يصبح الفكر لباساً موحداً يفصّلونه هم ويلبسه الجميع.. مثل ملابس المساجين؟

إلى متى يُغلِّف هؤلاء كل إحباطاتهم النفسية، واضطهاداتهم الاجتماعية بغلاف الدين، ويتخذونه وسيلة لتعويض الفجوات الكبيرة في نفوسهم، وسيلة شرعية، مجازة من قبل السلطة، موجهة نحو الشعب الذي لا يملك أن يختار ولا يستطيع أن يشتري وردة حمراء في يوم ١٤ شباط؟
عيد الحب بدعة، لأنه جاء من الغرب!!
بينما اليوم الوطني، ليس بدعة!!

والسلام الملكي الذي يطنطن في آذاننا كل يوم، ليس بدعة إلخ!!

ما الفائدة من الجدل العقيم معهم إذا كانت الوهابية من أكثر التيارات الفكرية في العالم التي طوّرت لنفسها (بعبقرية!) حجراً صلداً مثل ظهر السلحفاة تستطيع أن تعيش بداخله في معزل عن كل شيء: الحقيقة والحضارة والفكر والفلسفة!

أليس ما يفعلونه الآن من الهيمنة الدينية على الفكر هو تطبيقاً واضحاً لنبوءة الرسول الكريم لتتبعن «سنن من كان قبلكم»؟ هل استمع بابوات الكنيسة قبلهم لصوت الشعب في أوروبا العصور الوسطى، حتى يسمع هؤلاء، وهم يسيرون على خطى الكنيسة القديمة دون أن يشعروا (صم بكم عمي)، و﴿**الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾.

هابي فالنتاين للجميع!
وكل عيد ونحن.. أحرارا!
شكراً.. وهابية!

الخاتمة

في مقدمة الكتاب عرفنا الطغيان أو الاستبداد لغوياً من القواميس العربية.

في الخاتمة، أريد تعريفه واقعياً كمرض خبيث يستحيل علاجه. الطغيان أو الاستبداد هو سرطان المجتمعات الإنسانية وهو الذي قضى على الحضارات القديمة والحديثة نسبياً وعلى نفسه.

قلت أيضاً في المقدمة إن الأفكار في هذا الكتاب الذي فرغتم من قراءته تنطلق في المخاطبة والتعامل مع الآخر من منطلق إنساني. وهو ذات المنطلق الذي بشرت به الرسل والأنبياء وكل الرسالات السماوية.

لقد بدأت الكتاب بآية من كتاب الله هي لب الرسالات السماوية

كلها، وتؤسس لحضارة إنسانية تعم العالم أجمع، قائمة على العمل الطيب الذي هو نتيجة للعلم بكل فروعه ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ والتقوى هي العمل الصالح الذي يفيد القائم به والمجتمع الإنساني كله.

لقد ولت إلى غير رجعة حضارات الطغيان والاستبداد التي قامت تحمل جرثومة موتها منطلقة في مخاطبة الناس الآخرين من قواعد دينية أو أيديولوجية أو عنصرية، تقوم أولاً على إخضاع مجتمع إنساني لشخص يحمل فكراً (جرثومة خبيثة) دينياً أو أيديولوجياً أو عنصرياً، يبشر به ويقنع به شرائح مضطهدة في مجتمعه يمنيهم أن هذا الفكر إذا استولى على السلطة فإنه سيتمكن من القضاء على كل من يعارضه من القائمين على السلطة بفكر (جرثومة خبيثة) آخر، ديني أو أيديولوجي أو عنصري. السلطة في كل الأحوال هي حرية التصرف في ثروة المجتمع الذي يمكن عن طريقها فرض الفكر على المجتمع ذاته، واستعماله في فرضه على المجتمعات الأخرى.

هكذا قامت الحضارات القديمة والحديثة نسبياً، وهكذا ماتت، بسبب تغييب المجتمع أو الناس أصحاب الثروة الأساسيين وقهرهم.

الحضارة التي ستعم العالم أجمع هي (الحضارة الإنسانية) التي ستبقى ولن تموت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها.

(الحضارة الإنسانية) بتعبير الفلاسفة والمفكرين والإنسانيين و(المساواة بين الناس) بتعبير الأنبياء والرسل.

الحضارة الإنسانية التي ستبقى وتعم العالم أجمع ولن تموت، وضع أفكارها الأولية الفيلسوف الأندلسي أحمد بن رشد في القرن الخامس عشر. وبدأ تطبيق بعض المبادئ الأولية في بريطانيا وفرنسا بعد صراعات دامية استمرت قروناً في العالم الغربي على العموم. خاض العالم حربين عالميتين قامتا بين الدول التي تحكمها الشعوب والدول التي يحكمها الطغاة المتسترون وراء أيديولوجيات قومية وعنصرية انتصرت فيها الدول التي تحكمها الشعوب.

ثم قامت حرب أطلق عليها «الحرب الباردة» بين أكبر قوتين في العالم، قوة الدول التي تحكمها الشعوب بزعامة الولايات المتحدة الأميركية وقوة الدول التي يحكمها الطغاة المتسترين خلف أيديولوجية حكم أو سلطة العمال (البروليتاريا) بزعامة الاتحاد السوفياتي وسميت الحرب الباردة بسبب توازن الرعب أو الفناء المتبادل في حال استعمال السلاح، وانتصرت الشعوب على الطغاة.

سيتم انتصار (الحضارة الإنسانية) على الطغيان والاستبداد عن طريق الحروب التقليدية كما حدث مع العراق، وعن طريق الحرب الباردة كما حدث مع الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية، وكما سيحدث مع الصين. الذي يضمن تطور واستمرارية وبقاء الحضارة الإنسانية أنها قادرة على معالجة أمراضها وتملك المؤسسات المدنية التي تسيطر عليها الشعوب والتي تقوم بذلك، فهي حضارة الإنسان من أجل الإنسان الذي حمّله الخالق الأعظم أمانة خلافته في الأرض وأودع فيه روحه.

التاريخ الإنساني هو تاريخ حضارات قامت وماتت بسبب حملها فيروس موتها وهو الطغيان.

الحضارة الإنسانية هي نهاية التاريخ كما يؤمن بعض الفلاسفة والمفكرين، وهذا صحيح إذا نظرنا إلى التاريخ على أنه تاريخ حضارات نشأت وماتت.

الحضارة الإنسانية هي بداية تاريخ جديد هو تاريخ الإنسان المساوي للآخر بصرف النظر عن جنسه (ذكراً أو أنثى) وقوميته.. عائلته أو دينه.

في هذه الحضارة الإنسانية سيتحقق علم الله بالإنسان الذي علمه الأسماء كلها وليس علم الملائكة الذين سجدوا كلهم احتراماً لهذا المخلوق الذي جعله الله خليفته في الأرض.
وهذا هو موضوع كتابي القادم.

عبدالحق الحر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

صدق الله العظيم

(سورة البقرة الآية ٣٠)

المؤلف في سطور

عبدالحق الحر
كاتب عربي مقيم في غرب أوروبا.
يعمل في حقل دراسات الأديان المقارن.
يحاضر في عدد من الجامعات الأوروبية.
له عدة أبحاث ومؤلفات.

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ص

ط

ع

فهرس الأماكن

أ

ب

ج

س

عبد الحق الحر

تحالف الشيطان

كثيرة هي الإصدارات التي حاولت أن تتعاطى مع النص القرآني بعقلية جديدة وبرؤية تنسجم مع معطيات العصر الذي أصبحت الحداثة واحدة من أهم سماته.

لكن معظم هذه الدراسات لم تحقق الأثر المرجو منها، ولم تستطع أن تؤثر في العقل الجمعي للأمة العربية، ذلك أن وعورة الأسلوب حالت دون الجمهور العريض والتفاعل مع تلك الأفكار والرؤى الشجاعة.

في هذا الكتاب يدخل المؤلف عبدالحق الحر إلى جبهة الإصلاح متسلحاً بلغة مباشرة، واضحة وبسيطة، وقريبة من نبض الناس وهمومهم، بحيث إنه لم يرتهن لروابط العرق ولم يركن إلى شروط تقليدية في صياغة مفهوم المواطنة، مقدماً نظرة جريئة معاصرة وغير مسبوقة، ليس على صعيد العالم العربي والإسلامي فقط، بل على الصعيد الإنساني بشكل عام.



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

ISBN 9953-21-143-4

